لبنان الديمقراطي العربي العلماني

(٢)

مقدمات أولية

حول مقولة التعددية الحضارية

الديمقراطيون العلمانيون



لبنان الديمقراطي
العربي العلماني




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

لبنان الديمقراطي العربي العلماني

(٢)

مقدمات أولية
حول مقولة التعددية الحضارية

الديمقراطيون العلمانيون


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

صدر ضمن هذه السلسلة :

١ ـ ظواهر الايديولوجيات المتخلفة في الوضع العربي .

٢ ـ مقدمات اولية حول مقولة التعددية الحضارية .

يصدر تباعا :

٣ ـ مقدمات اولية حول مقولة الطائفة ـ الطبقة .

٤ ـ العلمانية في اوروبا تاريخيا وحاليا .

٥ ـ العلمانية ومسالة بناء الوطن .




umam
أمم
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

المحتويات


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

منطلقات

ان قيامنا ، في هذه الدراسة ، بتفنيد مقولة التعددية الحضارية يحملنا على ايراد بعض المنطلقات التي توجه تحليلنا :

١ ـ ان حرية الراي ، او التعددية بالمفهوم المسلم به في علم السياسة ، ليست مجال نقاشنا في هذه الدراسة. بل اننا نؤكد ان التعددية، التي هي نقيض المنحى التوليتاري في السلطة والدولة والمجتمع ، هي مجال تأييد وممارسة من قبلنا كديمقراطيين علمانيين .

٢ ـ ان ما نسعى لتفنيده هو مقولة « التعددية الحضارية » التي شكلت ، ولا تزال ، اطروحة تحمل في ثناياها المقدمات النظرية لحل « الكانتونات » او «اللامركزية السياسية » ، هذا الحل الذي يعتبر ، من وجهة نظرنا ، مدخلا عمليا لتفكيك الوطن اللبناني ولبلقنة المشرق العربي بما يتفق مع مخططات العدو الصهيوني والقوى الدولية التي تريد استمرار سيطرتها على منطقتنا .

٣ ـ اننا نسلم بأن المجتمع اللبناني يعاني ، في المرحلة الراهنة ، ازمة كيانية عميقة هي محصل لجملة عوامل وتراكمات وفي طليعتها :

- واقع الاستغلال الاجتماعي .
- توتر العلاقات بين الطوائف .
- ازمة القوى السياسية التي كانت في الحكم او في خارجه .
- نتائج الوجود الفلسطيني وتداخله مع مظاهر التوتر الاجتماعي والطائفي والسياسي .
- تأثير الانظمة العربية وخاصة سوريا .
- تأثير الوجود الصهيوني وخططه لمستقبل المنطقة .
- تأثير القوى الدولية وبخاصة اميركا وروسيا وبعض البلدان الاوروبية ، ومقتضيات مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية في المنطقة .

ولئن كنا نستشعر عمق الازمة الكيانية الراهنة لوطننا ، بتشعبات جذورها ، فاننا نطمح في نقاشنا الحلول المطروحة ، ومنها مقولة التعددية الحضارية ، الى الانطلاق من استيعاب مجمل هذه التحديات ، لايجاد حل يرسخ الوطن اللبناني على اسس من الاستقرار والصمود ، وعلى نحو ينسجم والاتجاه الانساني لحركة التاريخ .

٤ ـ من الخطأ الانتظار باننا في هذه الدراسة سوف نبين انه ليس في لبنان بنى اجتماعية (طوائف) متمايزة في

بعض خصائصها . فنحن نعتقد بأن اية ايديولوجية ـ بما فيها مقولة التعددية الحضارية ـ لا تأتـي من لا شيء بل تعكس بنيات وتراكمات اجتماعية وسياسية وثقافية موجودة في المجتمع اللبناني . وما يهمنا التأكيد عليه هو :

ـ ان التمايز بين الطوائف لا يشكل «تعدد حضارات».

ـ ان هذا التمايز ليس ـ كما يذهب منظرو « التعددية الحضارية» ظاهرة ازلية ابدية يجب ان تبقى وتتثبت في عقول الناس واعرافهم وفي طبيعة النظام السياسي المرتجى .

ـ اننا نعتبر ان الكيانات الطائفية لها تأثيرها في مجتمعنا اللبناني من نظام العائلة ، الى نظام التزاوج ، الى المؤسسات المختلفة ، الى التربيـة ، الى قاعدة المجتمع الاثنيـة ، الى توزيـع الناس ، الى السكـن ، الى الهجـرة من الريف الى المدينة . لكن مفهومنا لهذه الكيانات ينطلـق من فهم تاريخي لها في واقعهـا وفي مستقبل تغيرها . وعلى قاعدة هذا الفهم الجدلي الدينامي نصارع لبناء المجتمع والنظام العلمانيين . وهذا التوجـه ـ في بعديـه الايديولوجي والاستراتيجي ـ يتنـاقض قطعـا مـع مقولـة « التعدديـة الحضاريـة » و « الكانتونات » .

٥ ـ ان تفنيدنا لمقولة « التعددية الحضارية » ، وما ينبثق عنها من مشروع سياسي ، يحملنا على التفريـق بين فئتين :

أ ــ فئة ــ تشكل الاكثرية الساحقة ــ وهي مخلصة في سعيها لايجاد مخرج من ازمتها الكيانيـة . ونحن نحترم اخلاصها واليها نتوجه .

ب ــ فئة ــ تشكل الاقليـة الضئيلة ــ وهي سيئـة النية ، تابعة لقوى خارجية ، تعرف انها ، تحت ستار اعطاء الحل للازمة العميقة التي تعصف بمجتمعنا ، تقدم مشروعا يشكل مدخلا الى ازمـات وويلات توصل مجتمعنـا اللبناني ــ وربما المنطقة العربيـة ــ الى مرحلة التفتت والدمـار . واللغة الوحيدة مع هذه الفئة هي الصراع الشامل الذي لا يقبل الحلول الوسط .

٦ ــ ان رواج هـذه المقولـة ــ خاصـة في الاوساط المسيحية ــ لا يعني ان مسؤولية هذا الرواج تقع فقط على قصور الايديولوجيا السائدة عند المسيحيين ، بل يجب علينا التاكيد على مسؤوليات ثلاث :

ــ الايديولوجيا المتخلفـة السائدة في اوسع الاوساط الاسلامية (وخاصة قضيـة العروبـة وعدم ربطها بالبعـد العلماني) .

ــ طروحات جبهة الاحزاب النظرية (وخاصة مقولـة الطائفة ــ الطبقة (★) وتاثير هذه المقولة على الاستراتيجية

(★) تصدر قريبا ضمن سلسلة « لبنان الديمقراطي العربي العلماني » ، محاضرة لعصام خليفة فيها مقدمات نقدية لهذه المقولة .

وبعض الممارسات الطائفية لتلك الجبهة .

ـ طبيعة الصراع الصهيوني ـ الفلسطيني في تشعباته وانعكاساته على المجتمع والنظام في لبنان (وبشكل خاص خطط الصهيونية لبلقنة المنطقة ، والأخطاء الفادحة والسلوك اللاعقلاني المتخلف من قبل المقاومة الفلسطينية) .

عصام خليفة




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

القسم الاول

اهم المرتكزات النظرية لمقولة التعددية الحضارية

اولا : في المرتكزات النظرية :

لن نستطيع ان نعرض في هذه الدراسة كل الطروحات المتعلقة بهذه المقولة . ولكننا سنأخذ طروحات منظرين ثلاثة يعتبرون الاكثر تماسكا نسبيا على الصعيد الفكري ، وهم : الاب يوسف مونس، والدكتور فؤاد افرام البستاني، والاستاذ امين ناجي . وسوف نعرض ، بايجاز ، موقفهم من : الاسلام ، المسيحية ، مفهوم الوطن ، العروبة ، الحل المقترح.

١ ـ الموقف من الاسلام والمسلمين :

أ ـ الاب يوسف مونس (١) :

يذهب الاب مونس الى ان « البنية الاثنية الاسلامية العربية ، اي اثنية اهل السهول والبوادي (روح البادية ـ ابن خلدون) ، تغلب عليها روح الترحال والغزو والتهديم

والتدمير، ويطبعها القرآن بطابعه وخلقيته المميزة (تيوقراطي مطلق ، عقدة التسامي ، روح السلطة ، الجهاد المقدس ، وروح العدوانية) » (٢) .

ويدين الاب مونس المرحلة التي سبقت الحرب اللبنانية، حيث رحنا نخلط ونمزج بتعهر فكري وسياسي وحضاري مخجل نفسيات شعوب اهل الجبال والكبرياء واهل السهول والعبودية ، اهل المدائن الثابتة والحضارة المرهنة مع اهل البداوة والغزو ، اهل البحار والسفر والشواطىء مع اهل الصحاري والبوادي ، اهل التحولات والمتغيرات الادونيسية والتجسدات الوثنية والمسيحية مع ذهنيات اهل الثوابت المنزلة المطلقة في اللغة والشرع والمعتقد (٣) .

وعلى صعيد الموقف السياسي « اما ان يتنازل المسلم عن اسلامه ليلتقي بالمسيحي على قدم المساواة في الاخوة البشرية والوطنية وفي ممارسة السلطة السياسية وهذا غير جائز في الاسلام ، واما ان يرضى المسيحي بحكم الاسلام وان يصبح من اهل الذمة وهذا ضد حرية الانسان والديمقراطية » (٤) .

ويدين الاب مونس موقف الاسلام الذي ينمي – في رأيه – « روح العدوانية والعنصرية وروح التسلط والتعالي ومركبات الكبرياء والتسامي . وهو (اي الاسلام) ، بدافع عدواني مقدس ، يبرر الاضطهاد الشرس الذي يمس الحرية الانسانية في اقدس خيار لها » (٥) .

ب ــ الدكتور فؤاد افرام البستاني (٦) :

يؤكد الدكتور البستاني بانــه « اذا رضي المسلمــون اليوم ، تحت ضغط الظروف ، بالتنازل عن بعض ما يفرضه دينهم فسيأتي غيرهم غدا وينقض باسم الدين عينه ما ابرمه سلفه » (٧) .

ج ــ امين ناجي (٨) :

يقول الاستاذ امين ناجي بان « الاسلام دين ودولة ، سلوك واخلاق ، حياة يومية ومعاملات » (٩) . ثم يؤكـد في مقالة وردت في الصياد أن « الاسلام يطلب من المسلم أن يحيا اسلامه في نظام اسلامي : الحاكم يجب ان يكون مسلما ، والفقــه الاسلامي مصدرا للتشريع ، والاحــوال الشخصية النظام الوارد في القرآن الكريم ، والمسلم المرتد يقتل شرعا . . . فالوحدوية العضوية بين الديني والدنيوي تجعل الحياة من نواحيها كافة اسلامية المنطلق والجوهر والهدف » (١٠) .

٢ ــ الموقف من المسيحية والمسيحيين :

أ ــ الاب مونس :

يذهب الاب مونس الى ان « البنية الاثنيــة اللبنانيــة المسيحية ، اي اثنية اهل الجبال والبحار (جبل لبنان) ، تغلب عليها المحاور الجغرافية الثابتة وحضارة وفولكلور اهل

الجبال » (١١) ، وان الموقف المسيحي « ينطلق من المحبة والشهادة والخدمة وبذل الذات ، وينمي روح الاخوة والاحترام » ، انه موقف « المحبة ، ورغم خطأه في مسيرته التاريخية ، ينطلق من قبول تمايز الآخرين ، وينتهي حتى الى الشهادة لهم بفدائهم وبذل الذات حبا لهم » (١٢) .

ب ـ الاستاذ امين ناجي :

يعتبر الاستاذ امين ناجي بأن « المسيحيين يميزون بين حقلي الزمنيات والروحانيات ، فهم « يعطون ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . انهم « علمانيون في طبيعة تطلعاتهم المدنية وان تأخرت العلمانية ـ لاسباب تاريخية ـ في الظهور في اوروبا » (١٣) .

ج ـ الدكتور فؤاد افرام البستاني :

يعتبر الدكتور البستاني بأن « سبب هذا النزاع الاساسي يعود الى الاختلاف بين المعتقد الديني الاسلامي والمعتقد المسيحي في النظر الى الدولة والوطن ... » (١٤). ويؤكد في الوثيقة المقدمة الى سيدة البير (١٥) « بأن لبنان كما ننظر اليه نحن (المسيحيون) ، حل بذاته ، وكما ينظرون اليه هم (المسلمون) : ازمة مستمرة » (١٦) . وينطلق من ان « الشعب اللبناني ، في تكوينه الحاضر ، يعيش على مستويين متباينين في الدين والحضارة : المسيحية

والاسلام » (١٧) . ويستنتج ان « لا بد من تسوية المستويين او فصلهما لتصبح الحياة ممكنة » (١٨) .

٣ ـ الموقف من الوطن :

أ ـ الاب مونس :

يؤكد الاب الدكتور ان « الوطن ليس في تعريفه الاساسي حدودا جغرافية فقط تعيش ضمنها مجموعة من الناس فسيفسائية التركيب ، بل مجموعة من البشر موحدة في اثنيتها ، اي هي واحدة في ماضيها وفي حاضرها وتطلعاتها المستقبلية. بتعبير آخر هي واحدة موحدة في حضارتها »(١٩). ويضيف « اما ان يكون الوطن مؤلفا من اثنية حضارية واحدة ليحيا واما لا يكون » (٢٠) . هذا على الصعيد النظري العام بالنسبة لمفهوم الوطن ، فهل ينطبق هذا المفهوم على لبنان ؟ « ان لبنان هو وطن مكون من مجموعات اثنية وديانات وحضارات مختلفة في اصلها وفي تاريخها » . ويعتبر الاب مونس « ان الوطن في الاسلام لا يرتبط بالارض بل بالناس (جماعة المسلمين) ، لذلك لا يمكن ان يلتقي الاسلام باناس لهم ولاء لارض معينة » (٢٢) .

ويستشهد بكتاب الدكتور الشيخ صبحي الصالح ، النظم الاسلامية ، ص ٢٥٥ ، حيث ورد ان « ولاء المسلم لا يكون الا للامة الاسلامية . فلا قيمة للوطن الا بارتباطه بالدين » (٢٣) .

ان الاستنتاج واضح من سياق هذه المقدمات : لا امكانية بناء وطن موحد بين المسلمين والمسيحيين .

ب ـ الدكتور البستاني :

يوضح الدكتور البستاني رايه في الوطن الذي يسعى لانشائه : « اما المسيحيون فقد قاتلوا مئات السنين ليكون لهم وطن ولا يكونون فيه اهل ذمة » (٢٤) . انه « لبنان المتصرفية مضاف اليه : بيروت ، ورقعة ارض في البقاع تبدأ من أقدام جبال الارز ـ صنين ـ الكنيسة ـ الباروك ، وتمتد عشرة كيلومترات في السهل باتجاه سلسلة جبال لبنان الشرقية . على ان تبحث بعمق مسالة القرى المسيحية في ما تبقى من البقاع ، وفي عكار ، وفي الجنوب » (٢٥) .

ج ـ الاستاذ امين ناجي :

لا يشير الاستاذ ناجي الى مفهومه للوطن لكنه يطرح « المناطقية كحل يجعل من « لبنان دولة تحافظ فيها كل جماعة من جماعاته على خصائصها في اطار حرية الضمير ، واحترام الغير ، والمواطنية الكاملة ، وتكافؤ الفرص » (٢٦) . وهذا الموقف يؤمن « الوحدة في التنوع » .

٤ ـ الموقف من العروبة :

ا ـ الاب مونس :

يقع الاب مونس في بعض التناقض عند تصديه لمفهوم

العروبة : فتارة يؤكد ، بشكل مطلق وشامل ، بأن « العروبة عصبية دينية وانها « عنصرية جديدة » (٢٧) ، بينما يشير في مكان آخر الى ان العروبة تعني ، للمسيحي ، « تيارا حضاريا ، ثقافيا ، فكريا ، لغويا ، ادبيا ، سياسيا ، ثوريا ، يكون نقطة تحول في رسم وجه الانسان الشرقي الجديد » . وتعني العروبة للمسلم الاسلام وحسب : « العروبة هي الاسلام والاسلام هو العروبة » (٢٨) .

ويذهب الاب الدكتور الى التقرير بأن « العقل العربي يعاني من انحرافات لن يمكنه التخلص منها » (٢٩) .

ب ـ الدكتور البستاني :

يذهب كاتب « الروائع » وصاحب « دائرة المعارف » الى اطلاق الحكم العام الذي ـ في رايه ـ لا يقبل المناقشة : « فما من احد حتى اليوم حدد العروبة بغير ما يؤول الى قيام الدولة الاسلامية » (٣٠) .

ج ـ الاستاذ امين ناجي :

يذهب الى التأكيد بان علاقة الاسلام بالعروبة هي علاقة العلة بالمعلول ولا يمكنها ان تحيا لحظة واحدة اذا لم يكن الاسلام نسغها » (٣١) . « ولا عروبة لولا الاسلام . ولا استمرار للعروبة لولا الاسلام » (٣٢) . لكنه بعد هذه الاحكام القاطعة المانعة يعود فيستدرك بأن الذين لم يربطوا العروبة بالاسلام ثلاث فئات :

« أ ـ المسيحيون (ومن بينهم نجيب العازوري ، وقد كان في خدمة اهداف سياسية غربية معينة) الذين راوا في ما بعد انهم يسيرون في خط مخالف للحقيقة .

« ب ـ الشيوعيون والماركسيون الذين يمتطون اي جواد يوصلهم الى هدفهم ، والعروبة بين ايديهم ستتحطم اشلاء .

« ج ـ المسلمون الذين ليست لهم مسؤولية حزبية او عقائدية او رسمية ... وليس عند اكثرهم من الاسلام اكثر من الانتماء السوسيولوجي » (٣٣) .

ه ـ الحل المقترح :

أ ـ الاب مونس :

يرى ان الحل يكون باحتذاء « الامثال التقدمية لهذا النهج ، الثقافي والحضاري العلمي الصحيح ، كثيرة واهمها سويسرا والاتحاد السوفياتي وبلجيكا وكندا » . (٣٤)

ب ـ الدكتور البستاني :

يمكن اعتبار الحل الذي يطرحه رئيس الجامعة اللبنانية الاسبق الاكثر تطرفا ، فهو يستنتج « ان الصيغة اللبنانية الحالية غير قابلة للعيش وان الجيل الذي حاول بناء دولة

معاصرة منذ ١٩٤٣ حتى اليوم جيل عمل في الفراغ » (٣٥) . ومن جهة اخرى « لم يجن لبنان الصغير من تجربة لبنان الكبير سوى الخراب والافلاس » (٣٦) . ولذلك « كانت اعادة النظر في الصيغة اللبنانية الحالية امرا ملحا » (٣٧) . وقد رأينا انه ــ مع جواد بولس وشارل مالك وادوار حنين ــ قد اقترح العودة الى لبنان المتصرفية مع بعض التعديلات .

ج ــ امين ناجي :

ينطلق الاستاذ امين ناجي ، في تصوره للحل المقترح ، من « البديهيات » التالية :

١ ــ اللبنانيون شعب غير متجانس .

٢ ــ اسلام المسلم لا يكتمل الا بالنظام الاسلامي .

٣ ــ العروبة جسم روحه الاسلام .

واعتماد البديهيات اعلاه يوصل تلقائيا الى الاقرار :

١ ــ بحق المسلمين في ان يعيشوا وفاقا لنظامهم الاسلامي .

٢ ــ بحقهم في الايمان بالعروبة وبكل مستلزماتها . والاقرار بالتالي :

١ ــ بحق غير المسلمين في الحياة في نظام علماني تام شامل .

٢ ـ بحقهم في الحياة في مجتمع لا يخشون ان يكونوا فيه اهل ذمة او مواطنين من درجة ثانية . (٣٨)

والهدف الذي تجد فيه « المسألة اللبنانية » حلها الدائم النهائي :

« ١ ـ اما أن يعيش غير المسلمين في دولة خاصة بهم، مستقلة تماما ، ويعيش المسلمون في دولة خاصة بهم ايضا (او يلتحقوا بدولة اخرى) . وهذا حل مثالي (بالمعنى الخلقي للفظة) .

« ٢ ـ واما اذا ارتؤي الابقاء على الجمهورية اللبنانية القائمة بحدودها الحاضرة ـ ان يوضع ميثاق وطني جديد ينظم الدولة على اساس الكونفدرالية » .)٣٩(

ثانيا : تطبيق مقولة التعددية الحضارية في الموقف السياسي للجبهة اللبنانية :

لقد استعرضنا حتى الآن اهم الجوانب النظرية التي شكلت الاسس التي قامت عليها مقولة التعددية الحضارية في لبنان .

ولقد كانت هذه المقولة في اساس القرارات السياسية الخطيرة التي اتخذتها الجبهة اللبنانية في خلوات ثلاث عقدتها في سيدة البير واهدن وزغرتا .

ففي النص الرسمي للبيان الذي اقرته خلوة الجبهة اللبنانية التي عقدت في ٢١ و ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٧ في دير سيدة البير ، جاء القرار التالي :

« اعتماد تعددية المجتمع اللبناني ، بتراثاته وحضاراته الاصيلة ، اساسا في البنيان السياسي الجديد للبنان الموحد ، تعزيزا للولاء المطلق له ، ومنعا للتصادم بين اللبنانيين ، بحيث ترعى كل مجموعة حضارية فيه جميع شؤونها ، وبخاصة ما تعلق منها بالحرية وبالشؤون الثقافية والتربوية والمالية والامنية والعدالة الاجتماعية وعلاقاتها الثقافية والروحية مع الخارج وفقا لخياراتها الخاصة»(٤٠).

وفي النص الصادر عن خلوة زغرتا التي عقدت في ٢١ و ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٨ جاء في المادة ٧ من ميثاق الجبهة ونظامها الداخلي :

« آن يؤسس البنيان السياسي الجديد للبنان الموحد ، على تعددية المجتمع اللبناني بتراثاته وحضاراته الاصيلة ، بحيث ترعى كل مجموعة حضارية فيه جميع شؤونها ، وبخاصة ما يتعلق منها بالحرية وبالشؤون الثقافية، والتربوية ، والمالية ، والامنية ، والعدالة المجتمعية ، وما يتعلق بعلاقاتها الثقافية والروحية مع الخارج وفقا لخياراتها الخاصة » (٤١) .

القسم الثـاني

نقد اهم المرتكزات النظرية لمقولة التعددية الحضارية

١ ـ في الموقف من الاسلام :

يمكن اختصار موقف منظري التعددية الحضاريـة ، بالنسبة للاسلام ، بالنقاط التالية :

ا ـ لم يتمكن الاسلام والمسلمون من انشاء حضارة، بل كانوا اهل غزو وتدمير .

ب ـ لا امكانيـة لتكيف المسلم مـع وضع اجتمـاعي وسياسي حيث تسود المساواة والحرية الانسانية .

ج ـ حتمية عودة ابناء المسلمين ، في المستقبل ، الـى النظام الاسلامي في حال تخلي ابنائهم ، مرحليا ، عنه .

د ـ الاسلام دين دولة .

هـ ـ الاسلام يفرض ، حتما ، قيـام نظـام اسلامي حيث يجب ان يكون الحاكم مسلما ، والفقه مصدر التشريـع الخ ...

و ـ العقل الاسلامي مصاب بتخلف « لن » يستطيع التخلص منه .

ما هو ردنا على هذه النقاط ؟

ـ بالنسبة للنقطة ا :

اذا كان صحيحا ان المسلمين في اكثريتهم الساحقة يعانون ، في المرحلة التاريخية الراهنة ، من مظاهر التخلف ، واذا كان بعضهم في الماضي ـ وربما في الحاضر ـ قد عاش حياة بداوة ومارس الغزو والنهب ، فهذا امر يعود الى اسباب تاريخية وجغرافية (اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية الخ ...) وليس الى كونهم يدينون بدين الاسلام .

وعلى صعيد الحضارة والعمران فنحن نترك الاجابة على دور الاسلام والمسلمين في هذا المجال الى ثلاثة من كبار مفكري ومؤرخي الغرب :

يقول كلود كاهن (١) : « لعلنا لا نشاهد مطلقا في التاريخ مثل ذلك الحماس الفكري الذي نشاهده عند العرب ، ولم تتجمع قط المعلومات المتوفرة لامة من الامم بمثل ذلك الاتساع . فقد اضافوا الى العلم الاغريقي كل ما اسهمت فيه المدنيات الشرقية الاخرى » .

ويقول موريس لومبار (٢) : « ففي الشرق الاسلامي قامت آنئذ المراكز المحركة للحياة الاقتصادية والثقافية ، ولم

يكن الغرب سوى حيز خاو ومنفعل ، حيث تراجع النشاط التجاري والثقافي منذ انحطاط روما والغزوات البربرية» (٢).
ويضيف : « بفضل الفتح الاسلامي عاد اتصال الغرب مع الحضارات الشرقية ، ومن خلالها مع الحركات العالمية الكبيرة للتجارة والثقافة . وفي حين ان الاجتياحات البربرية الكبيرة في القرنين الرابع والخامس قد ادت الى التقهقر الاقتصادي للغرب الميروفنجي ثم الكارولنجي ، فاقامة الامبراطورية الجديدة الاسلامية قد ادت ، بالنسبة لهذا الغرب بالذات ، الى تطور مذهل . واذا كانت الاجتياحات الجرمانية قد عجلت انحطاط الغرب ، فان الاجتياحات الاسلامية قد اعطت دفعا لحضارته » (٣) .

اما روجيه غارودي فيقول في كتابه الجديد « من اجل حوار بين الحضارات » (٤) : « الغرب مدين بنهضته للفتح العربي الذي عرف كيف يخلق الاجواء الفكرية الضرورية لتفتحه . في مطلع القرن التاسع عندما كانت اوروبا تجهل القراءة كان الخليفة المأمون يفتتح في بغداد بمساعدة الكتبة والمترجمين مكتبة ضخمة : هي بيت الحكمة . حيث كانت تخزن اعمال الحضارات القديمة . وفي قرطبة كان احد الخلفاء الامويين يتصرف بمكتبة فيها اكثر من مئة الف كتاب، بينما بعده باربعة قرون لم يكن الملك شارل الخامس ــ الملقب بالحكيم (اي العالم) ــ يملك سوى الف كتاب » (٥) . وبعد ان يشير الى دور العرب في مختلف العلوم يقول : « اننا ندين كذلك باهم كليات الطب عندنا لعلم الطب العربي . مونبلييه

كانت الاولـى . وحتى القرن ١٦ في فرنسا ، وحتى منتصف القرن ١٩ في انكلترا ، كانت تنشر وتدرّس نظريـات الطـب العربية وخاصة نظريات الرازي » (٦) .

وهل يمكن بعد شهادات هؤلاء المفكرين الكبار ـ وهناك مئات الشهادات من غيرهم ـ ان تتهم الاسلام والمسلمـين ، بشكل مطلق ، انهم لم يساهموا في تقدم الحضارة ؟

ـ بالنسبة للنقاط (ب و ج و د و هـ) :

انا نبادر بالتسليم لمنظري التعددية الحضاريـة بعدة حقائق :

١ ـ ان هناك قصورا في الفكر الديني الاسلامي . فلـم تحدث ، حتى الآن ، الثورة المطلوبة في هذا الفكر بحيث يعاد النظر ، مثلا ، في تفسير آيـات القرآن الكريـم عـلى ضوء الانجازات المتقدمة والمختلفة التي اصابها الانسان المعاصر .

٢ ـ ان هناك تيارات شعبية اسلامية واسعـة ترفض الفصل بين شؤون الدين وشؤون الدولة وتشدد على ضرورة العودة الى النظام الاسلامي .

٣ ـ ان في لبنان بالذات ، وكذلك في العالم العربـي ، قوى اجتماعية وسياسية اسلامية تطالب بالحكم الاسلامي ، وهناك مفكرون مسلمون يعارضون قيام النظـام والمجتمـع العلمانيين في لبنان ، وهم يطالبون بالغاء نظامه الطائفي .

لكن يتجاهل منظرو التعددية الحضارية جملة حقائق تجعل ركائز اساسية من اسانيدهم متداعية . ومن هذه الحقائق :

١ ـ هناك مفكرون مسلمون كبار طرحوا فكرة فصل الدين عن الدولة في الاسلام ، بل تعدوا ذلك الى طرح العلمانية الشاملة ، وحاولوا تطويع الفكر الديني لتقبل مثل هذا التوجه . ومن هؤلاء المفكرين ، على سبيل المثال لا الحصر :

ـ الشيخ علي عبد الرازق ، صاحب كتاب « الاسلام واصول الحكم » . وكذلك اخوه مصطفى عبد الرازق .

ـ الشيخ خالد محمد خالد في كتابه : « من هنا نبدأ » .

ـ الاستاذ محمود العنابي التونسي في العديد من محاضراته واجتهاداته .

ـ الدكتور حسن صعب في العديد من كتبه ومحاضراته (٧) .

ـ الدكتور بشير بيلاني في العديد من ابحاثه ومحاضراته .

ـ الدكتور هشام جعيط صاحب كتاب :

« La personnalité et le devenir Arabo-Musulman ».

ـ الدكتور سيد حسين نصر (٨) .

ـ الدكتور ابراهيم مدكور (٩) .

ـ الدكتور محمد اركون في مختلف محاضراته وابحاثه ومؤلفاته ، وخاصة في كتابه :

La Pensée arabe (Que sais-je ?) Essai sur la Pensée islamique .

ـ الاستاذ باسم الجسر في مقالاته وخطبه ومحاضراته.
ـ الدكاترة اللبنانيين : محمد زهدي يكن (١٠) ، زكريا النصولي (١١) بهيج طباره (١٢) غالب محمصاني (١٣) ، محمد زكي النقاش (١٤) ، محمد المغربي (١٥) ، المحامي عبد العزيز قباني والدكتور اسامة فاخوري في العشرات من تصاريحهم .

وعلى كل حال يمكننا ايراد اسماء العديد من المسلمين (لبنانيين وغير لبنانيين) الذين استوعبوا مشكلات العصر وطرحوا ، بنسب متفاوتة ، تيارات اصلاحية علمانية في الفكر السياسي الاسلامي اللبناني خاصة والعربي عامة .

٢ ـ لئن كانت النظم السياسية والدستورية والقوانين تعكس واقعا اجتماعيا وحضاريا معينا ، فما هي حقيقة كون النظم والقوانين السائدة في البلاد العربية المجاورة هي نظم اسلامية كما يذهب منظرو التعددية الحضارية ؟

ان القانون العام والقانون الخاص في لبنان ومصر وسوريا وتونس والمغرب والجزائر هما من اصول فرنسية خاصة ، ولاتينية بشكل عام .

والقانون العام والقانون الخاص في السودان والعراق والاردن وبعض دويلات الخليج هما من اصول انجلو ـ سكسونية .

اما في البلدان العربية الاخرى ، وبخاصة في السعودية، فلا تزال الهيمنة للشرع الاسلامي (١٦) .

ان احكام الشرع الاسلامي لم يبق لها وجود الا في مجال الاحوال الشخصية (١٧) في الاكثرية الساحقة من البلاد العربية . وحتى في هذا المجال فهناك اجراءات تحديثية في اتجاه العلمنة (تونس والصومال واليمن الجنوبية) (١٨).

٣ ـ من الصحيح ، كما سبق واشرنا ، ان هناك العديد من المسلمين اللبنانيين الذين يعارضون علمنة الدولة والمجتمع ، لكن الصحيح ايضا ان هناك مسلمين لبنانيين كثيرين ، وهم على تزايد مستمر ، يطمحون ويناضلون لقيام المجتمع والنظام العلمانيين ، ليس فقط في لبنان وانما ايضا على امتداد المنطقة العربية .

٤ ـ ان منظري التعددية الحضارية يقررون ان مسلمي لبنان اليوم ، وحتى مسلمي لبنان الغد ، سيرفضون كل حكم غير الحكم الاسلامي .

الا يمكننا التساؤل : هل نسي هؤلاء ان الانسان كائن تاريخي ، وان كل ما هو تاريخي قابل للتغير والصيرورة ؟

ثم الا يلاحظ هؤلاء المنظرون كيف انه ، على ارض الواقع الاجتماعي ، يحدث صراع ـ باطني ومعلن ـ بين مسلمين سلفيين ومسلمين محدثين (وهذا الصراع ايضا يحدث بين مسيحيين سلفيين ومسيحيين محدثين) على الرغم من ان الصراع الطائفي يسعى لتحويل تلك الصراعات الى تناقضات ثانوية ؟

ثم اليس من حقنا اخيرا ان نرتجي ، عبر الصراع ضد الفكر الطائفي والنظام الطائفي والمجتمع الطائفي ، قيام تجربة علمانية رائدة في لبنان تنطلق في اتجاه الداخل العربي لتنقل منطقتنا الى طريق العقلانية والحداثة ؟

ـ بالنسبة لقضية الاسلام والتخلف (النقطة و) :

ان العمود الفقري لمقولة التعددية الحضارية يكمن في القول بان الاسلام ، كدين ، هو عامل تخلف ، والمسيحية ، كدين ، هي عامل تقدم ، فلا مجال لربط « المستويين المتباينين في الحضارة » بكيان سياسي موحد .

ان هذه المقولة تستمد جذورها من ماض سحيق ، وربما من لاهوتيي المسيحية في القرون الوسطى الذين تكلموا عن الجبرية الاسلامية ، ومن كبار المنظرين لها في العصر الحديث « رينان » الذي القى في السوربون بتاريخ ٢٩ آذار ١٨٨٣ محاضرة بعنوان « الاسلام والعلم » ، ذهب فيها الى ان انحطاط الدول التي حكمها الاسلام يعود الى هذا الدين المنغلق تماما عن العلم . وهناك العديد من المستشرقين الذين استمروا في اعتناق مثل هذا الراي . وليس بمستبعد ان يكون منظرو التعددية الحضارية قد راجعوا آراء هؤلاء المستشرقين ليعززوا قناعاتهم الايديولوجية .

ان مناقشة هذه المسألة تتطلب ، وحدها ، بحثا مطولا على حدة . ولكننا نكتفي الآن بالنقاط الاساسية التالية :

١ – لو كان الاسلام عامل تخلف ، ومناقضا للعلم ، لكان كذلك في كل العصور. والحال ان الاسلام لم يحل دون، ان لم نقل شجع ، تقدم العلوم والفنون والآداب والفلسفة في العصر الكلاسيكي العربي ، وخاصة في القرن الرابع الهجري .

٢ – اذا كان صحيحا ان التيارات العقلانية في الاسلام، وخاصة المعتزلة ، قد حوربت وتم القضاء عليها ، وسادت التيارات الشرعانية المتزمتة ، فهل هذا يعود الى الدين الاسلامي كدين ، ام الى واقع القوى الاجتماعية التي فرضت سيطرة مثل هذا التيار ؟

٣ – أليس ان اسباب التخلف هي اسباب تاريخية ، منها ما يعود الى البنية الداخلية للمجتمع (بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية) ، ومنها ما يعود الى العوامل الخارجة عن ارادة المجتمع (كالسيطرة والاستعمار من الخارج) ، تتفاعل فيما بينها لتفرض السبات والانحطاط على شعب من الشعوب (١٩) ؟

٥ – الا يمكننا القول ، مع مكسيم رودنسون ، بان الاسلام « لم يكن سببا للجمود ، او القسوة ، او العصبية ، او انقطاع التقدم الاجتماعي ، ولا لسجن الفكر الحر ، وفي كل حال ليس اكثر من اي ايديولوجية اخرى . ان الشعوب الاسلامية ، مع الاسلام او بدونه ، يمكن ان تتقدم او تتقهقر، ويمكن لحكوماتها ان تكون شمولية ، ليبرالية ، ولجماهيرها

ان تنفتح على تيارات فكرية متعددة ، او تتعلق بعصبية بالامتثالية ازاء العقائد القديمة ، او الجديدة . فهذا يتعلق بعوامل عديدة ، ليس الارث الثقافي الاسلامي المتنوع ، اكثر بكثير مما يقال ، الا واحدا من جملة عوامل ، وليس هو الاقوى بينها على كل حال » (٢٠) .

١ ـ ان العقل الاسلامي ـ في لبنان ـ يعاني من ازمة هي بوادر صحة وعافية . اليس من الاجدى التفتيش معه عن مكامن التخلف في الداخل وقوى السيطرة والخطر في الخارج لمجابهتها والانتصار عليها ، بدلا من اتهامه بانه «لن» يتخلص من تخلفه ـ وهذا الموقف مناقض لابسط بديهيات العلوم الانسانية .

٢ ـ في الموقف من المسيحية والمسيحيين :

يمكن اختصار موقف منظري التعددية الحضارية ، في هذا المجال ، بالنقاط التالية :

أ ـ المسيحيون اهل حضارة وعمران .
ب ـ المسيحية هي حافز للتقدم والرقي .
ج ـ المسيحية تنطلق من قبول تمايز الآخرين .
د ـ المسيحيون علمانيون في اساس عقيدتهم يعطون « ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

١ ـ بالنسبة للنقطتين (أ و ب) :

اذا كان صحيحا ان اكثر البلدان المتقدمة ، في وقتنا

الحاضر ، هي بلدان تدين اكثرية شعوبها بالمسيحية ، فمن الجدير بنا ان نتوقف عند الحقائق التالية :

١ ـ ان تيار التقدم والحداثة في الغرب كان ، على امتداد التاريخ المعاصر ، تيارا مصارعا للقوى المحافظة وبخاصة الكنيسة المسيحية (٢٠) .

٢ ـ ان تقدم الكنيسة ، كمؤسسة ، كان لاحقا لتقدم المجتمع .

٣ ـ اذا كانت المسيحية هي وحدها عامل تقدم، فلماذا امرت الكنيسة باعدام غاليله لمجرد انه اعتقد بأن الارض هي التي تدور حول الشمس ؟

٤ ـ ان بلدا كاليابان لا يدين بالمسيحية ، ولكنه بين البلدان الاكثر تقدما في عصرنا الحاضر .

٥ ـ ان بلدانا كثيرة تدين بالمسيحية، كاميركا اللاتينية، واوروبا الجنوبية (البرتغال واسبانيا ...) ، والحبشة وغيرها ، وهي بالرغم من ذلك ما تزال بلدانا متخلفة (٢١) .

٦ ـ من الواضح ان المسيحية المعاشة في اوروبا او في الولايات المتحدة تختلف عن مسيحية اميركا الجنوبية . وحتى ضمن هذه الاخيرة يجب ان نميز بين عدة نماذج :

ففي دراسة سريعة للاب اليسوعي جان ايف كالفيز يؤكد (٢٢) : « لا مجال للشك ، لاول نظرة ، ان الكاثوليكية التقليدية في اميركا اللاتينية تبدو قليلة التشجيع للتطور

الاقتصادي ، **وتبدو قديرة بالعكس على تركيز الركود والتخلف »** . ويميز بين موقفين اساسيين للكاثوليكية التقليدية في اميركا اللاتينية : الانسان يتوجه الى الله لكي يحصل على مساعدته ودعمه في صعوبات الحياة المادية الزمنية . والطبقات العليا في المجتمع، الحساسة تجاه دافع يمكن تسميته الخلاص الابدي الذي لا يمنعها ان توظف رساميلها في الخارج، وان تعيش في بطالة كاملة، وان تعامل الفلاحين كأقنان ، هذه الطبقات العليا لها تصور مزدوج للمسيحية ، من ضمنه ان الاشياء الارضية ليس لها اية علاقة مع الاشياء السماوية .

اما هنري دوروش (٢٣) فيميز بين اربعة انواع من الكثلكة في اميركا اللاتينية :

١ ـ كاثوليكية مركزة (Etabli) ذات ملكية كبرى (Latifondiaire) ملتزمة واريستقراطية .

٢ ـ كاثوليكية اسكاتولوجية (٢٤) (eschatologique) منبثة في الطبقات الشعبية الفلاحية الامية ، تسير نحو احتلال الاراضي من قبل الذين لا يملكون ارضا .

٣ ـ الكثلكة الاجتماعية المنطلقة من تراثية كنسية متنورة ، حذرة ، تتدخل بتؤدة في حقول الاصلاح الاجتماعي الاقتصادي او الثقافي ، وهي مراقبة من مراجع اجتماعية مسيحية .

٤ ـ الكثلكة المتباعدة (distancié) المعترضة التي تصبو

في نفس الوقت الى اصلاح الكنيسة واصلاح المجتمع بعمل متضامن بين المسيحيين وغير المسيحيين .

وربما ينطلق منظرو التعددية الحضارية من واقع الثقافة والتعليم في لبنان ، حيث ان نسبة المتعلمين بين المسيحيين هي أعلى منها ، نسبيا ، بين المسلمين . ولكن هذا الامر يعود الى عوامل تاريخية (علاقاتهم مع الغرب ، ومجمع اللويزة ١٧٣٦ ، والارساليات التبشيرية ، ودور الاتراك وفرنسا في هذا المجال الخ ... ، وقد فصلنا هذه العوامل في محاضرتنا « حول مقولة الطائفة ـ الطبقة » .

ب ـ بالنسبة للنقطتين (ج و د) :

ان هذا التاكيد يتجاهل عدة حقائق :

١ ـ ان العلمانية ليست فقط مجموعة من النظم تتحقق على صعيد البنية الفوقية من المجتمع ، بل انها اكثر من ذلك حالة من الصراع الشامل على صعيد المجتمع نفسه ، في عقله وسلوكه وبنى مؤسساته التحتية باكملها .

٢ ـ ان العلمانية ، على صعيد المجتمع وعلى صعيد النظم ، جاءت نتيجة لصراع مرير بدأ داخل الكنيسة نفسها بين الكهنة العلمانيين (Séculiers) والرهبان المنضوين في جمعيات (٢٥) (Réguliers) ، ثم تعدى ذلك الى مختلف المؤسسات الاجتماعية الثقافية (٢٦) والسياسية . هذا الصراع كان طرفاه : كنيسة قوية تجمع بين السلطتين

الروحية والزمنية ، وقوى سياسية بدات ضعيفة في بادىء الامر ولكنها اخذت تقوى مع صعود الطبقات الاجتماعية الجديدة التي ارتبطت بقيام الثورة الصناعية (٢٧) .

٣ ـ اذا تفحصنا الحياة السياسية في المانيا وايطاليا ، نرى بسهولة ان السلطة فيهما هي في يد احزاب ، ان لم تكن طائفية مسيحية ، فهي انما تخضع بالتاكيد لتوجيه من قيادات كاثوليكية . والامر اكثر وضوحا في اسبانيا والبرتغال .

وفي بريطانيا يجب ان تكون الملكة (او الملك) ، حكما ، من الطائفة الانجليكانية .

وفي الولايات المتحدة ، بالرغم من ان الدستور لا ينص على دين رئيس الدولة ، فان ثمة عرفا متبعا بأن يكون رئيسها من الطائفة البروتستانتية .

والاكثرية الساحقة من بلدان اميركا اللاتينية تعتبر الكاثوليكية دينا رسميا للدولة ، بل ان كولومبيا ، مثلا ، تعتبر ان الكاثوليكية هي في اساس الحياة القومية لها (٢٨) .

٤ ـ انطلاقا من ذلك ، لا يمكن الزعم بان العلمانية هي امر محسوم تماما في البلدان المسيحية ، وانها ، فقط ، هي مشكلة البلدان الاسلامية .

٥ ـ واستطرادا فلا يمكن القول بان معركة العلمانية في لبنان هي ، فقط ، معركة يجب ان تخاض في الاوساط

الاسلامية . اذ ان من يطرح حل « الكانتونات » في لبنان لا يمكن ان يكون علمانيا .

٢ ـ في الموقف من العروبة :

يمكن اختصار موقف منظري التعددية الحضارية من العروبة بالنقاط التالية :

أ ـ انها عصبية دينية اسلامية .

ب ـ ما من احد حتى اليوم حدد العروبة بغير ما يؤول الى قيام الدولة الاسلامية .

ج ـ المسيحيون الذين آمنوا بهذا الشعار تراجعوا عن خطأهم .

د ـ المسلمون الذين آمنوا بهذا الشعار ليسوا مسلمين ، الا من الوجهة السوسيولوجية .

قبل ان نبادر بالرد على هذه النقاط نود ان نطرح بعض المسلمات التي تحدد منطلقنا :

١ ـ نحن نوافق ان تيارات سياسية واجتماعية فهمت العروبة ، ولا تزال ، بمضمون طائفي اسلامي .

٢ ـ اننا ننطلق من موقع الادانة لممارسات كثيرة واعمال مشينة ارتكبت باسم العروبة من قبل فلسطينيين ولبنانيين في الحرب اللبنانية الاخيرة .

٣ ـ اننا نعتبر ان قوى متنوعة رفعت شعارات تقدمية ، وبالرغم من ممارستها للسلطة ، حافظت على البنى

والايديولوجيات التقليديـة (الحزب التقدمي الاشتراكي) والبنى الاقطاعيـة والطائفية (الناصريـة والايديولوجيـة السنيـة ، البعث والبنى القبليـة والطائفيـة ، المقاومـة الفلسطينية والبنى العشائرية والمحلية ، الاحزاب الشيوعية وطروحاتها المراوحة بين الاقليمية والتطيف والتبعية) .

٤ ـ اننا ننطلق مـن موقف مغاير لموقف العروبيـين المتجاهلـين ، او الرافضين ، حسم عـدة امـور نعتبرهـا جوهرية : العلمانية الشاملة ، حـل قضية المرأة ، اللغـة والدين وحتمية تحديثهما ، الاقليات وحتمية حل مشكلاتها ديمقراطيا .

٥ ـ اننا نقف من التراث موقف الاستيعـاب والنقد والتخطي لا موقف التقديس والصنمية . ونتبنى مفهـوم الحداثة ولا نرفضها لانها « مستوردة » .

٦ ـ نحن مـع اعتماد التحليل العلمي لفهـم بنيـات مجتمعاتنا العربية ، وفهم مكامن تخلفها على صعيد واقعهـا المادي وعلى الصعيد الايديولوجي ، وفهم عملية التغيير على انها ليست فقط عملا فوقيا سياسيا بقدر ما هي عملية تغيير شامل وجذري للمجتمع بكافة بناه التحتية والفوقية (٢٩) .

٧ ـ اننا في موقفنا المدافع عن العروبة لا ننطلق من غير مصلحة الوطن اللبناني ، فالتناقض الحاصل بـين اللبنانية والعروبة هو نتاج خطاين :

ـ خطأ المتجاهلين مصلحة لبنان اولا ، السائرة قياداتهم في ركاب انظمة ليست تجاربها بالضرورة هي الاكثر قربا من العروبة التقدمية الحقيقية .

ـ خطأ المنطلقين من ردة الفعل ضد كل ما هو عربي ، المرتبطة قياداتهم غالبا بقوى اجنبية تريد فرض سيطرتها على المنطقة ، متجاهلين ان مصلحة لبنان الوطن تكمن في انجاح تجربة العروبة العلمانية على ارض لبنان ، فيكون هذا الوطن ، بالتالي ، نموذجا مستقبليا لما يجب ان تتجه نحوه هذه العروبة .

على ضوء هذه المنطلقات نناقش منظري التعددية الحضارية :

١ ـ بالنسبة للنقاط ا و ب و د :

ان المؤكدين بان العروبة ، اطلاقا ، هي الاسلام ، وهي تسعى لقيام الدولة الاسلامية ، يتجاهلون الوقائع العلمية التاريخية التي تثبت بان العروبة كانت دعوة شارك فيها مفكرون مسيحيون ومسلمون ، ولقد طرحوها من منظار اقرب الى التوجه العلماني . ومنهم الدكتور قسطنطين زريق (٣٠) في اغلب مؤلفاته ومحاضراته ، وزكي الارسوزي (٣١) في بعض آرائه ، وساطع الحصري في الكثير من ابحاثه وكتاباته . فقد قال في احدى مقالاته (٣٢) : « ... فارى من واجبي ان اصرح لكم في هذا المقال باني ، مع عدد كبير من المفكرين القوميين الذين اعرفهم واتصل بهم ،

انظر الى قضية « الوحدة العربية » كقضية مستقلة عن قضايا « الوحدة الاسلامية » ، واؤكد لكم انني ، بقدر ما اؤمن بالعروبة وبامكان الوحدة العربية ، اعتقد باستحالة « الوحدة الاسلامية » ، واقول ان اثارة « فكرة الخلافة » مضرة بـ « قضية الوحدة العربية » .

ويؤكد في مقال آخر : « ... ولكن ذلك لا يعني ان القومية العربية ظلت مرتبطة بالديانة الاسلامية ، لانه قد تكونت امم اسلامية غير عربية من ناحية ، وجماعات عربية غير مسلمة من ناحية اخرى » (٣٣) .

ويشدد الاستاذ الحصري على فصل الدين عن السياسة : « وقد اصبح من الامور المسلمة لدى جميع الدول ، ان السياسة شيء والديانة شيء آخر ، فلا يمكن والحالة هذه اقامة السياسة على الديانة بصورة من الصور » (٣٤) .

واخيرا ، ردا على النقطة الرابعة ، من حقنا التساؤل : اليس ان المسلم اللبناني والعربي الذي يفصل بين العروبة والدين هو المسلم العقلاني المستوعب تطورات العصر والساعي الى المشاركة في مجابهة التحديات المختلفة ؟ فلماذا يريد منظرو التعددية الحضارية ان ينتزعوا من مثل هذا المسلم انتماءه الديني ؟

٢ ـ بالنسبة للنقطة ج :

ان الواقع التاريخي يبين ان المفكرين المسيحيين ـ وبخاصة اللبنانيين ـ هم اول المنادين بالعروبة ذات الافق

العلماني ، وهم ، في توجههم هذا ، يبرزون ارادة غير واعية لاحداث تحول سياسي في وضع المسيحيين العرب في المجتمع الاسلامي ـ العثماني ، ويطمحون للقيام بدور فعال في الامبراطورية العربية اذا ما قدر لها الانبعاث . انهم يهاجمون، في شكل غير مباشر ، المصادر التي استمدت منها السلطة السياسية والاجتماعية شرعيتها . وكذلك ، على مستوى النظرية الاجتماعية ، يبرزون تصديا لاسس النظام السياسي القائم بطرحهم للفكرة القومية المرتبطة بسيادة الارادة الشعبية في الدولة (٣٥) .

وحسبنا التوقف عند بعض المسيحيين الرواد في طرح قضية العروبة العلمانية لنبين ان طرحهم هذا كان عن ايمان راسخ ، وانهم ـ بعكس ما يذهب منظرو التعددية الحضارية ـ استمروا في ايمانهم بالقضية لا يلويهم تشرد او اضطهاد ، مقدمين المثال الحقيقي لكل من يناضل من اجل المصلحة اللبنانية الصحيحة .

١ ـ المعلم بطرس البستاني :

يهمنا ، من غزير انتاجه ، تشديده على فكرة الوطنية، وعلى ضرورة فصل الدين عن الدولة « ما دام قومنا لا يميزون بين الاديان ، التي يجب ان تكون بين العبد وخالقه ؛ والمدنيات ، التي هي بين الانسان وابن وطنه او بينه وبين حكومته ، والتي عليها تبنى حالات الهيئة الاجتماعية والنسبة السياسية ، ولا يضعون حدا فاصلا بين هذين

المداين المتازين طبعا وديانة ، ولا يؤمل نجاحهم في احدهما ولا فيهما جميعا » (٣٦) .

ومن جهة اخرى ، فقد تكلم المعلم بطرس بحرارة وصدق عن اللغة العربية وعن دورها في احياء التراث العربي وانماء الوعي القومي . كما انه تكلم باعتزاز عن الدم العربي، اذ جاء على لسانه في احدى وطنياته عندما طعنوا بالجنس العربي امامه : « هاج بي الدم العربي » . وقد ذهب بعض المفكرين الى تفسير ذلك بانه كان تمهيدا لوعي القومية العربية وايقاظ الشعور الذي ادى فيما بعد الى التيار القومي العربي (٣٧) .

ب ـ ابراهيم اليازجي :

وهو صاحب قصيدة « الا هبوا استفيقوا ايها العرب » التي شكلت ، في جوهرها ، تحريضا للعرب على الثورة . وقد تغنت بامجاد العرب وبمفاخر ادبهم ، وبالمستقبل الذي يستطيعون ان يصنعوه لانفسهم باستلهام ماضيهم، ونددت بشرور التفرقة الطائفية وفساد الحكم ، واهابت بالعرب ان يلقوا عن اعناقهم نير الاتراك (٣٨) .

ج ـ شبلي شميل وفرح انطون وجرجي زيدان وجماعة المقتطف :

وقد تزعموا الحركة الثقافية والعلمية العربية ، وطرحوا اهمية فصل الدين عن الدولة ، وركزوا على اهمية العلم والحضارة الحديثة كسبيل لنهضة العرب (٣٩) .

د ـ نجيب عازوري :

وهو المفكر العربي الذي كان له سبق اعطاء العروبة اطارا نظريا متقدما في كتاباته المتعددة . فقد تفهم منذ عام ١٩٠٥ خطورة الحركة الصهيونية على مستقبل المنطقة ، فحذر منها ، وقدم الحجج والاسانيد المختلفة التي تنقض مخططاتها (٤٠) .

كما طرح تصورا قريبا من العلمانية لطبيعة الدولة العربية التي يجب ان تستقل عن تسلط عبد الحميد (٤١) . ولئن كان المآخذ الاساسي على مؤلفاته انها كانت باللغة الفرنسية فلم تشكل تيارا شعبيا في الاوساط العربية، لكن يجب علينا الاقرار ان هذه المؤلفات تتصف بمنهجيةاكاديمية عالية ، وبموضوعية بارزة ، تكتنفها جميعا روح وطنية تطمح الى التحرر والاستقلال (٤٢) .

هـ ـ امين الريحاني :

لقد اعتبر هذا المفكر اللبناني من اكبر دعاة العروبة . ولقد مارس نشاطه في خدمتها منذ مطلع القرن . وكانت مؤلفاته تهدف الىالدفاععن القضية العربية فيمواجهةالقوى الخارجية التي كانت تريد فرض سيطرتها على المنطقة ، وبخاصة الصهيونية والاستعمار الغربي . وقد كان لابن الفريكة مواقف جريئة ضد الطائفية والطائفيين ، وفهم العروبة من منظار علماني متقدم .

لقد ندد الريحاني بالطائفية في اغلب كتاباته وخطبه ، ووصفها بأبشع النعوت . فهي داء البلاد العربية اليوم لانها في كل جزء منها ، فالسنة والشيعة في العراق ، والمارونية واخواتها في لبنان ، والوهابية في نجد ، والزيدية في اليمن (٤٣) . والطائفية تعبير عن عقلية دينية اساسها التعصب والاثرة وسوء الظن والضغينة (٤٤) . انها للوطن العدو الاكبر ، وانها للقومية العقبة الكؤود (٤٥) . والطائفية تنفي الوطنية وتتعاكس معها ، ففي ضعف الطوائف قوة الوطن ، وفي التفكك الطائفي تحقيق الآمال القومية (٤٦) . ذلك لان كل طائفة منغلقة على ذاتها وطن قائم بنفسه (٤٧)، ومهتمةبمصالحها التي لا تلتئم والمصلحة الوطنيةالعامة(٤٨). انها نوع من الخيانة الوطنية لانها تكرس الانقسامات السياسية في نطاق الوطن ، والاقليمية في نطاق الوطن الاكبر ، وبالتالي تحول دون الرقي الحقيقي في الامة المقسمة (٤٩) .

في مواجهة هذه الآفة الاجتماعية يعتبر امين الريحاني ان الروح القومية هي اشرف الفضائل التي تشرف الانسان، وهي أوطد الدعائم الاجتماعية (٥٠) . وان الفكرة الوطنية العالية هي التي تجمعه مع اخوانه العرب في مضمار واحد هو مضمار الجهاد القومي اينما كان الجهاد الزم . ثم يؤكد في مجال آخر : « اني وان كنت لبنانيا لمن العرب. اني لعربي الدم والقومية ، عربي الحس والنزعة، عربي القلب والروح. كما اني عربي اللسان » (٥١) . والعروبة ، في رايه « ليست فكرة ثقافية او عقيدة سياسية ، ولا هي من المبادىء

والنزعات التي تتعـدد في السياسة وتتنـوع في الامـة . العروبة روح قومية عالية شاملة تحمل صاحبها على التعاون والتضامن مع اخوانه ليكون لهم جميعـا وطن قـوي عزيز مستقل ، يضمن لهم السلامة والخير والهناء ، ويدفع عنهم تعدي الاجانب . هذي هي العروبة في اسمى معانيهـا وفي اقصى اهدافها . انها احلال القومية الواحدة الكبرى محل القوميات الصغيرة الضائعة » (٥٢) .

وبالرغم من عدم كمـال وضوح المضمـون السياسي والاجتماعي والاقتصادي لهذه القومية التي قال بهافيلسوف الفريكة ، بيد انه حسم قضيـة المضمـون العلمانـي لها ، مؤكدا فصل الدين عن السياسة ، لانه ادرك ان حجر العثرة في سبيل الوحدة القومية انما هو التحزب الديني (٥٣) .

و ـ اسعد داغر :

لقد شارك هذا المفكـر اللبناني بمختلف النضـالات العربيـة منذ مطلع هذا القرن ، ونافح بقلمـه وجهده عن حقوق العـرب ، وحذّر من مطامع اعدائهم ، ودعاهم الى اليقظة وتخطي التعصب الديني والطائفي . فهو يقول عن قيـام الثورة العربية انها حادث لم يكن « ابن يومه بل هو نتيجة انقلابات طرات على الافكـار في السنـوات الاخيرة ، فحررتها من قيود التعصب الديني ، وجعلتها تنضم جملة تحت لواء الجامعة القومية والغيرة الوطنية ، فغيرت بذلك كل اعتقاد سياسي واجتماعي ، واظهرت للعـرب كافة ان

اتفاقهم مع الترك كان شرا عليهم لانه لم يكن قائما على اساس القومية » (٥٤) .

ثم يؤكد ، من ناحية اخرى ، ان الوحدة بين العرب ، كما يفهمها ، هي ذلك الاتحاد السليم الصحيح الذي يرمي الى توحيد الشعوب لا الى خدمة التيجان ، والى تعزيز الاستقلال لا الى الانتقاص منه، والى توطيد السيادة القومية لا الى جعل البلاد العوبة في ايدي الطامعين (٥٥) . والوحدة لا تعني امبراطورية عربية تجعل الاقطار العربية المختلفة خاضعة لارادة فرد ، بل هي نظام حر ديمقراطي ، ناشىء عن رضى جميع الشعوب العربية ، ويسعى الى التحرر من جميع الاقطاعات الاقتصادية والاجتماعية في الداخل والخارج ، والى النهضة على اساس المساواة بين الافراد ، وازالة الفروق بين الطبقات ، ومكافحة الفقر والمرض والجهل ، وتامين العمل والعلاج والمسكن والغذاء لجميع المواطنين (٥٦) .

من الواضح ، اذن ، ان ابن تنورين يفهم الوحدة العربية على اساس من القومية والعلمانية وليس على اساس الدين والتعصب الطائفي ، على اساس اصلاح البيت والمدرسة وتحسين انظمة الحياة وتثقيف المراة . وهو يؤكد في اكثر من مناسبة « ان روح الوطنية لم تنضج فينا الى هذا الحد حتى الآن . وهذا هو سبب جميع مصائبنا وليس لها سبب آخر سواه » (٥٧) .

ز ـ خير الله خير الله :

لعل هذا المفكر هو الابرز بين سائر المفكرين اللبنانيين الدين طرحوا قضايا العروبة والاستقلال والثقافة الوطنية في الربع الاول من هذا القرن . واذا كان ليس من شأننا ، في هذه العجالة ، ان نعرض كل جوانب انتاجه الفكري ـ بالرغم من التحامل الذي يتعرض له هذا المفكر (٥٨) ـ فحسبنا أن نعرض بعض ما يتعلق بموضوعنا .

فخيرالله يدعو الى يقظة عربية تواجه مظاهر الانحطاط والتخلف ، ويؤمن بوحدة عربية ديناميكية تنطلق من وحدة اللغة والارادة والروح ، ومن الوحدة الاستراتيجية والاقتصادية والتاريخ ومن التشريع الموحد (٥٩) . ولا يرى خير الله تناقضا بين مصلحة لبنان واستقلاله ومصلحة العرب واستقلالهم . فهو يرى « بأن السوريين والعرب يتهمون اللبنانيين بالشعور الانفعالي لانهم يجهلون تاريخ نضال وتفاني هذا الشعب » . ولبنان ، في رأيه خدم القضية العربية عبر تاريخه وهو مدعو باستقلاله الى المزيد من خدمتها والعمل في سبيلها .

ويشدد خير الله على اهمية التربية في احداث التغيير الاجتماعي وتأمين الكوادر للحاجات الاقتصادية والصناعية والفكرية (٦٠) .

كما يهيب بالشباب « أن يتكاتف ويحقق التفاهم على

قواعد جديدة واسس متينة في اطار العلمنة » (٦١) . هذا التوجه العلماني يقضي بتحرير الافكار الشعبية والقوانين الاشتراعية من سيطرة المعتقد الديني الذي كان مبعث التفرقة والتمزق الداخلي . وقد اقترن هذا التوجه بمفهوم ديمقراطيةالسلطة عند خيرالله، فاظهر تمسكهبالديمقراطية، وفرّق بين كلمتي حاكم وسيد . فعلاقة السيد بالرعية هي علاقةفوقية، علاقة سيطرةوتبعية، اما لاحاكم فهو الذييمثل الارادة الشعبية ، لان الحكم برايه « هو سلطة يعترف بها الشعب وتعمل هي لمصلحته » (٦٢) .

ان خير الله كان من المفكرين الذين آمنوا باللبنانية والعروبة في آن ، واعتبر ان لا تناقض بينهما ، وكان من الذين تحسسوا اهمية التربية كاحدى اهم وسائل التغيير الاجتماعي . كما راى ان النضال السياسي هو واجب على المفكرين المتنورين من ابناء البلاد ، من هنا مشاركته في اغلب اللجان والجمعياتالسياسية التيكانت تعمللاستقلال لبنان والبلاد العربية عن الاستعمار . وليس من قبيل الصدفة ان يموت خير الله في ظروف غامضة في شمال افريقيا ، فأمثاله من المفكرين الطليعيين هم الخطر الحقيقي على مصالح القوى التي تريد ان تبقي شعوبنا متخلفة لكي تستمر في السيطرة عليها وفي نهب ثرواتها (٦٣) .

ان المسيحيين اللبنانيين الذين آمنوا بالعروبةالعلمانية يعرفون بوضوح انهم يلتزمون بالمصالح العميقة للشعب

اللبناني والشعوب العربيـة ، ويعرفون ايضا ان معركـة الاسـتقلال السياسي والاقتصادي تمر حتما بتحقيق هذه العروبة ، وهم في توجههم هذا ينتظرون من « الآخرين » ان يتراجعوا عن اخطائهم .

٤ ـ مناقشة الحل المقترح :

يتراوح موقف منظري التعددية الحضارية من الحل السياسي المقترح لمستقبل لبنان بين مؤيد للوطن القومـي المسيحي (الدكتور البستاني ـ والدكتور شارل مالك ـ وادوار حنين وجـواد بولس) ، وبـين ان يكـون الحـل الكونفدرالي او الكانتونات هو الحل المعقول (الاب مونس ، الاستاذ ناجي) .

فما هو تقييمنا لهذا الحل ؟

اولا ـ خلفيات تاريخية :

ان فكرة انشاء وطن قومي مسيحي هي فكرة كانت موجودة منذ القرن الماضي وقد استمرت بالظهور بين فترة واخرى ضمن ظروف داخلية وخارجية . وحسبنا التوقف عند المحطات الاساسية التي طرحت فيها هذه الفكرة بحدة لنتمكن من تقييمها بشكل موضوعي ورصين .

ا ـ طرح الفكرة في القرن التاسع عشر :

جاء في رسالة من القنصل الفرنسي في بيروت الى رئيس الوزراء الفرنسي (مؤرخة بتاريخ ٢١ ايار ١٨٤٠) :

« Ces dangers (sur le rôle de la France en Syrie) ne disparaitraient-ils pas par l'indépendance reconnue du prince du Liban, par la création enfin d'une principauté catholique indépendante ou seulement tenue à quelques actes de Vosselages. Mehamet Ali serait p.otégé contre le Turquie par un rempart de quarant mille montegnards que pourrait armer l'Emir (Béchir). D'autre part la Syrie serait de ce côté fermée à l'Angleterre à la Russie par les haines religienses les plus vivaces, ainsi le Gouverneur Egyptien, fort contre toutes les autres puissances, serait faible contre la France seule ».

« هل تنتهي هذه الاخطار (على دور في فرنسا في سوريا) بمجرد الاعتراف باستقلال امير لبنان ، او بخلق امارة كاثوليكية مستقلة او مرتبطة فقط ببعض العلاقات الفاسالية (٦٤) .

« في هذه الحال يصبح محمد علي محميا ، ضد تركيا، بجدار من اربعين الف جبلي يمكن للامير بشير ان يجندهم. وتصبح سوريا ، في هذه الحالة ، مقفلة بوجه النفوذين الانجليزي والروسي بسبب الاحقاد الدينية المتاججة ،

ونتيجة لذلك يكون حاكم مصر قويا امام كل القوى الدولية وضعيفا أمام فرنسا بمفردها » .

وعندما يسأل بوريه القنصل الفرنسي في بيروت عن موقف فرنسا الحقيقي : هل هي تهتم بالموارنة كطائفة ، ام انها تعتبرهم اداة لتحقيق مصالحها في ما كان يسمى المسألة الشرقية ؟ يجيب ، انطلاقا من توجيهات رئيس وزرائه ، بأن المسألة الشرقية هي الاهم (٦٥) :

« Il résulte de la depêche de voire exellence que notre influence en Syrie, et notre action protectrice, ne sont que secondaires à la grande question d'Orient, et que si j'avais été dans la facheuse necessité d'abandonner un de ces intérêts à l'autre c'était le premier qu'il eût fallu sacrifier, bien entendu en le sacrifiant le moins possible ».

« يستنتج من الرسالة الديبلوماسية لسعادتكم بأن نفوذنا في سوريا ودورنا في حماية الاقليات ليسا سوى امرين ثانويين بالنسبة للمسألة الشرقية برمتها ، واذا ما وضعنا في مأزق الاختيار فمن الاجدى أن نضحي بالامرين الثانويين ولكن بأقل قدر ممكن » .

وعلى كل حال من حقنا ان نتساءل : اليس ان الفتن الطائفية وقيام متصرفية جبل لبنان هي من النتائج التي فرضتها التطورات التاريخية الداخلية للبنى الاجتماعية الطائفية (وخاصة ما حدث داخل الطائفة المارونية) ،

وذلك بالتنسيق والتفاعل مع خطط القوى الخارجية في المنطقة وبخاصة المخططات الفرنسية ؟

ب ـ فكرة الوطن المسيحي في مرحلة قيام لبنان الكبير :

ان المحلل المتمعن لبعض الوثائق والنصوص التاريخية التي تعود لفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ يعود باستنتاج عام ، وهو ان فكرة الوطن المسيحي كانت مطروحة في ذهن بعض التيارات المسيحية التي لعبت دورا اساسيا في تلك الفترة، وكذلك كان هذا الامر مطروحا بالنسبة للسياسة الفرنسية .

١ ـ السياسة الفرنسية :

في رسالة (٦٦) بالغة الاهمية ارسلها رئيس الوزراء الفرنسي ميللران بتاريخ ٦ آب ١٩٢٠ الى غورو ، تأكيد على امور :

أ ـ ضرورة فرنسة مسيحيي لبنان (ص١٩٦) .

ب ـ ضرورة ضم الجنوب الشيعي وصيدا الى لبنان، برغم معارضة القيادات المارونية لذلك (ص١٩٦) .

ج ـ اعطاء طرابلس استقلالا ذاتيا ، باعتبار انها ترفض الانضمام الى لبنان المسيحي (ص١٩٧) .

د ـ كذلك بيروت يجب ان تعطى استقلالا اداريا وماليا (ص ١٩٧) .

وبالنسبة لسوريا يرى ميللران ان استراتيجية فرنسا تتطلب تقسيم سوريا الى كانتونات مستقلة (حلب، حمص ، حماه ، دمشق الخ ...) يكون لها تنظيم مالي وقضائي وسياسي (ص ١٩٩-٢٠٣) .

٢ ـ مواقف بعض الشخصيات المسيحية :

أ ـ البطريرك الحويك :

في ملاحظات خاصة مرسلة من قبل البطريرك الى ليون بورجوا في وزارة الخارجية الفرنسية (٦٧) نلاحظ ان ثمة خلفية مسيحية في دفاعه عن ضرورة ضم مدينتي بيروت وطرابلس الى لبنان الكبير : فبيروت ، مثلا ، محاطةبمناطق مسيحية ، و٢/٣ من سكانها مسيحيون ، وهي مركز التجارة ، وكذلك طرابلس . « وبقدر ما يكون لبنان قويا ومستمرا في الحياة ، كذلك يكون نفوذ فرنسا في كل سوريا » .

ب ـ الاستاذ اميل اده :

اعلن السيد اميل اده ان الامل بالوفاق مستحيل بين المسلمين والمسيحيين لانهم منقسمون في صراعات طائفية حادة ، من هنا ضرورة تفكيك الشعوب العربية (يقصد الاسلامية) لاضعافها فيتامن ، من خلال ذلك ، تفوق العنصر المسيحي في سوريا الكبرى (٦٨) .

ج ـ حليم بك ملحمة :

جاء في مذكرة مقدمة من هذا الدكتور في الحقوق :

« ... وبشكل خاص ، لبنان المسيحي ، والتابع لفرنسا ، والذي كان له وضعه الخاص خلال العصور ، هل عليه اليوم ان يتبع سياسيا سوريا المسلمة ؟ يبدو لنا ان جزءا من البلاد مع الجبل ، وكذلك بيروت المركز وقسما من الساحل والمناطق الداخلية المهمة اقتصاديا ، يجب ان تتمتع بنظام خاص وذلك بسبب الاغلبية المسيحية من السكان ، ومنهم الموارنة الذين يستطيعون حقا الاعتزاز بكونهم فرنسيين ثقافة وتقليدا » (٦٩) .

على كل حال هناك عرائض ووثائق كثيرة تشير الى ان مسلمي بيروت ، مثلا ، طالبوا بتقسيم البلاد الى كانتونات اتحادية (٧٠) ، وانهم في اكثريتهم الساحقة كانوا يعارضون الانضمام الى لبنان الكبير ، وذلك انطلاقا من مشاعر واتجاهات دينية اسلامية .

د ـ البطريرك انطون عريضه :

لقد تصدى البطريرك عريضة لهذه الفكرة في عدة مقابلات صحفية . فقد جاء في جريدة الاوريان البيروتية في عددها الصادر في ٩ آذار ١٩٣٣ (٧١) : « منذ بضعة ايام نقلنا المقابلة التي اجراها مراسل جريدة مصرية كبرى السيد

زيدان ضاهر مع غبطة البطريرك الماروني : « الاكثرية والاقليات قد تتغير بالنسبة الى اهميتها العددية وبالنسبة الى آرائها، اما لبنان فقد كان دوما وسيبقى وطنا مسيحيا».

وازاء ردود الفعل التي احدثها هذا التصريح ، عاد البطريرك واوضح المعنى من تصريحه قائلا : « لم يبق للمسيحيين في كل الشرق من وطن سوى لبنان ـ مقابل البلدان الواسعة التي كونت بعد الحرب ـ فالى لبنان التجأ جميع البطاركة المسيحيون ، كما يمكن ان نتبين ذلك. هل هذا معناه ان لبنان الوطن المسيحي لن يكون سوى للمسيحيين ؟ ـ كلا فلا شيء يمنع ان يبقى وطنا مشتركا لكل الطوائف . لكن بمواجهة سوريا المسلمة يقف لبنان المسيحي الذي عليه ان يضم شيئا فشيئا ضمن حدوده كل مسيحيي الشرق ... » .

هـ ـ مذكرة الى الامم المتحدة تطالب بلبنان وطن قومي للنصارى في الشرق :

ان اهم خطوة في سبيل انشاء وطن قومي للنصارى في الشرق هو تلك المذكرة المطولة (٥٤ صفحة) المقدمة الى الامم المتحدة . وبالرغم من عدم وجود تاريخ لتقديم المذكرة او اسم للهيئة التي قدمتها ، فان باستطاعتنا ان نستنتج امرين :

أ ـ انها مقدمة من مقـام ديني عال (وعلى الارجح البطريرك الماروني انطون عريضه) .

ب ـ ان التاريخ التقريبي لصدورها هو عام ١٩٤٨ ، اي تاريخ نشأة الكيان الصهيوني على ارض فلسطين .

المذكرة مؤلفة من اربعة عشر فصلا تـدور على عرض تاريخي لعلاقات الصراع بين الداخل الاسلامي ولبنان «معقل النصرانية في الشرق» . وبعـد ان تعرض المـذكرة اوضاع اللامسـاواة التي يعيش فيها المسيحيون في ديـار الاسلام ، تحاول ان تركز على الترابط بين العروبة والاسلام : « لا نرى انفسنا مبالغين اذا قلنا ان العروبة لا تعني سوى الاسلام وان بينهما اتصالا وثيقا ، اتصال العلة بنتيجتها » (٧٢) . وفي مكان آخر : « ان العروبة والوحدة العربية لا يمكن فصلهـا عن الاسلام ، وان للدولة العربية شريعة واحدة هي شريعة الاسلام المقـدسة ... وان الاسلام ، وهو يؤلـف دولـة تيوقراطية ، لا يعترف لغير المسلمين بالحقوق المدنية ... وانه ينبذ فعلا حرية الاعتقاد » (٧٣) . وترى المـذكرة ان « الحـل المعقول للاضطراب السائـد في البلـدين السـوري واللبناني لا يمكن ان يكون الا في حشد الجماعات التي تدين بمبادىء متماثلة روحية وادبية تحت سماء واحدة » (٧٤). وتفترض « ان مصلحة المسلمين انفسهم تقضي عليهم ، كما تقضي على نصارى الشرق ، بان يؤلفوا امتين منفصلتين » . وتؤكد المذكرة ان على الامـم المتحدة ان تضع « حـلا

نهائيا لمعضلة مسيحيي الشرق ، فيضمنوا لهم حياة هادئة وشريفة في وطن قومي حر مستقل » . وفي الختام تعود فتكرر ان « نصارى الشرق يطالبون بان يكون لهم وطن قومي مسيحي : وهذا الوطن هو لبنان » (٧٥) .

و ـ المطران بولس عقل :

طالب المطران بولس عقل ، في اميركا الشمالية ، بلبنان كوطن للنصارى في الشرق ، وذلك في سنة ١٩٤٦ (٧٦) .

ز ـ المطران اغناطيوس مبارك :

قدم المطران مبارك سنة ١٩٤٧ الى اللجنة الدولية التي جاءت لاستطلاع الوضع في فلسطين ، مذكرة طالب فيها بأن يكون لبنان وطنا قوميا للمسيحيين (٧٧) .

ج ـ انشاء « الدولة المسيحية » هدف لقيادات الدولة الصهيونية :

كتب بن غوريون الى موشيه شاريت بتاريخ ٢٧/٢/١٩٥٤ رسالة جاء فيها ان « اقامة دولة مسيحية هنا ـ في لبنان ـ امر طبيعي ... وسيجد تأييدا من قوى كبيرة في العالم المسيحي » . ثم يقول : « هذا الامر يكاد يكون مستحيلا في الايام العادية ... ولكن في وقت الارتباك والاضطراب والثورة او الحرب الاهلية تختلف الامور » .

اما شاريت فيقول في رده على رسالة بن غوريون بتاريخ

١٨ آذار ١٩٥٤ : « لا استثني من الحساب امكان تحقيق الامر في اعقاب اية عاصفة من الاضطرابات تمر على وجه الشرق الاوسط » . ويضيف : « بعد كل هذه الامور ليس فقط انني ما كنت ساعارض ، بل كنت ساوافق تماما على تقديم المساعدة الفعالة لكل غليان في اوساط الطائفةالمارونية بهدف زيادة القوة والانفصال ... وكنت سارى الخير ... بتحويل الانظار عن الورطة الاسرائيلية العربية » (٧٨) .

بعد هذه الخلفية التاريخيـة ، سنتوقف عند بعض الملاحظات التي نعتبرها هامة ، وسنخلص منها الى طرح بعض الاسئلة على طارحي فكرة الوطن المسيحي او الكانتونات .

ثانيا : بعض الملاحظات :

١ ـ ان هذه الفكرة كانت تبرز في الاوساط المسيحية عامة ، والمارونية خاصة ، ابان احتدام الازمات ، وخاصة الدموية منها ، في لبنان او على امتداد المنطقة .

٢ ـ ان قوى خارجية (بعض دول الغرب ، اسرائيل ....) تطرح وتؤيد هذه الفكرة ليس فقط حبا بالمسيحيين او بالموارنة ، بل تحقيقا لاهدافها السياسية والاستراتيجية في المنطقة .

٣ ـ لما كانت تلك القوى ، عادة ، في صراع مع الداخل العربي ، فمن الطبيعي ان لا ينال مثل هذا المشروع رضى هذا الداخل .

٤ ـ ان تلك القوى الخارجية تفضل مصالحها الاستراتيجية في المنطقة اكثر من اهتمامها او دعمها للمسيحيين اللبنانيين في حال تعرضهم لاخطار اجتياحية بسبب هذا المشروع .

٥ ـ ان هذا المشروع كان غالبا، في الماضي وفي الحاضر، يجابه بتيار مسيحي ، بل ماروني ، يطرح فكرة الالتزام بمصالح لبنان الموحد من ضمن انتمائه لبيئته العربية وقيامه بدوره الطليعي في هذه البيئة .

٦ ـ ان تخلف الايديولوجية الطائفية الاسلامية التقليدية وقصورها عن حسم المضمون العلماني للعروبة ـ واستطرادا الهجمات الجماعية التي تعرضت لها المناطق المسيحية في الازمة الاخيرة ـ هي من اهم العوامل المساعدة في تقوية التيارات « الكانتونية » في الاوساط المسيحية .

٧ ـ انطلاقا من الملاحظة السابقة ، ان مجابهة الطروحات الانفصالية في الاوساط المسيحية لا تتم ، فقط ، بتحميل المسؤولية للاستعمار والصهيونية ، فهذه القوى لا تستطيع ان تتدخل الا في ظروف داخلية مؤاتية ، ومن هنا ضرورة حدوث تحوّل يطال الايديولوجية الاسلامية التقليدية ، وخاصة في مجالين :

ـ حدوث ثورة في الفكر الديني الاسلامي يجدد تفسير القرآن على ضوء حاجات الانسان المعاصر .

ـ حدوث ثورة في الفكر السياسي عند المسلمين بحيث تصبح مدلولات كلمات (كالامة ، والقومية ، والعروبة ، والديمقراطية ، والحرية والعدالة ، والاشتراكية والمساواة، والوطن الخ ...) حاملة مضامين وقيم تنسجم وتقدم الانسان المعاصر .

٨ ـ اننا : اذ نطرح ذلك على بيّنة من ثلاثة امور :

ا ـ ان الايديولوجية التقليدية المسيحية هي ايضا بحاجة الى ثورة في الفكر الديني وكذلك في الفكر السياسي.

ب ـ ان القوى المعادية ـ وفي طليعتها الصهيونية والاستعمار ـ سوف لن تقف متفرجة في عملية الصراع والتغيير هذه ، فان لها اهدافها واستراتيجياتها ومصالحها.

ج ـ ان عملية التغيير في هذه الايديولوجيات هي محصل لصراع ثقافي واجتماعي وسياسي شامل ـ طويل الامد ـ يجب ان تخوضه قوى التغيير انطلاقا من التحليل العلمي للواقعين اللبناني والعربي ، ومن ضمن استيعاب العبر والدروس مما جرى ، ومحاولة رسم نظرية تغييرية جديدة بما يتخطى طروحات جبهة الاحزاب التي برهنت الاحداث الاخيرة تهافت تحليلها للواقع اللبناني ونظريتها لتغييره (٧٩) .



ثالثا ـ بعض الاسئلة الجوهرية لمؤيدي فكرة الوطن المسيحي او الكانتونات :

اننا سنطرح بعض الاسئلة معتبرين انها تحمل في ثناياها الجواب الواضح :

١ ـ الا يرى طارحو مشروع الكانتونات ، والوطن المسيحي ، ان هناك تمازجا سكنيا بين السكان من كل الطوائف بحيث لا يوجد في لبنان مناطق مسيحية صرفة او اسلامية صرفة ؟

٢ ـ واذا اصر طارحو المشروع على تنفيذ مشروعهم ، فماذا سيكون مصير المسيحيين الموجودين في المناطق ذات الاكثرية الاسلامية ، وماذا سيكون مصير المسلمين في المناطق ذات الاكثرية المسيحية ؟

٣ ـ اذا كانت هناك نية للتهجير المتبادل فمن استفتى السكان المعنيين حول هذا الامر ؟

٤ ـ ان الاكثرية الساحقة من المسلمين ونسبة غير قليلة من المسيحيين ، بالاضافة الى الدول العربية والعديد من الدول الكبرى ، تعارض المشروع ، على الاقل ظاهريا ، فما جدوى طرحه ؟ الا يشكل هذا الطرح زيادة في مشاعر الحذر والعداء والريبة ؟

٥ ـ ان المدن الرئيسية (بيروت ، طرابلس ، صيدا ، زحله) تشكل نسبة ٦٥ بالمئة من سكان لبنان وتضم بيروت

وحدها نسبة ٧٥ بالمئة من النشاطات الصناعية والتجارية، والادارية ، والثقافية ، الا يؤدي التفكك « الكانتوني » المقترح الى القضاء على وظائفها جميعا ؟ اليست عواصم البلدان الاتحادية ـ التي يشار اليها ـ موحدة (بروكسل ، برن . . .) ؟

٦ ـ ما هي نسبة سكان المناطق المسيحية الذين يعتاشون من موارد هذه المناطق (زراعيا وصناعيا وتجاريا)؟ وهل يستطيع سكان زحلة مثلا ان يتخلوا عن مناطقهم في سهل البقاع ؟ وماذا يفعل المقاولون ومعلمو البناء ـ مثلا ـ وهم الذين عندهم ورشات عمل في المناطق الاسلامية ؟ ومن يستهلك منتجات الجبال من الفواكه والخضار ان لم يكن ابناء المدن والداخل العربي (٨٠) ؟

٧ ـ اليست تجربة القائمقاميتين ـ ابان منتصف القرن الماضي ـ وما اسفر عنها من حروب وويلات هي حافز اساسي لرفض فكرة الكانتونات الطائفية ؟

٨ ـ واستطرادا الم نأخذ عبرة من النتائج الاجتماعية والاقتصادية من تجربة المتصرفية ؟ وهل هكذا بسهولة نتخلى عن نضال الحركات السياسية والفكرية اللبنانية في الوطن والمهجر لتحقيق لبنان الكبير ؟

٩ ـ يشدد طارحو مشروع الكانتونات ان الاساس في طرحهم لهذا المشروع هو تخوفهم من تجدد الاقتتال كل فترة من الزمن ، فهل يعتقدون ان هذا المشروع هو الحل

الذي يحقق هذا الهدف ام انه سيكون ـ بالتاكيد ـ مدخلا لحروب وفتن مستمرة وجديدة ؟

١٠ ـ لقد اكدت الكنيسة ، خاصة في مجمع الفاتيكان الثاني ، على ان الكنيسة « لا ترتبط بأي شكل خاص من اشكال الثقافة ، ولا بأي نظام سياسي واقتصادي واجتماعي (٨١) . ثم حسمت بان « الجماعة السياسية والكنيسة مستقلتان لا ترتبط الواحدة بالاخرى في الحقل الخاص بكل منهما » (٨١) . اليس ان قيام كيان سياسي مسيحي في لبنان يناقض التوجه العلماني الذي فرضته الكنيسة ؟ ثم اليس ان المنحى العنصري الذي يشكل الخلفية النظرية ـ والترجمة التنفيذية ـ التي سيقوم عليها هذا الكيان هو امر يتناقض جوهريا مع النظرة الانسانية للمسيحية نفسها ؟

١١ ـ الم يؤكد مجمع الفاتيكان الثاني على ضرورة احترام الاسلام والمسلمين الذين « يعبدون مع المسيحيين الاله الواحد الرحيم » (٨٣) ؟ واين يمكن تخطي « المنازعات والداوات القديمة » ، والانصراف باخلاص الى « التفاهم المتبادل » ، وصيانة وتعزيز «العدالة الاجتماعية» و«السلام والحرية » (٨٤) بين المسيحية والاسلام ان لم يكن من خلال صياغة تجربة علمانية في لبنان تعطي العروبة بعدا حضاريا مستقبليا ؟

١٢ ـ اليس ان واجب المسيحية في لبنان هو « ان تجعل الاسلام يدخل في حوار ذاتي بناء ، في ثورة داخلية روحية ، « فيفصل الدين عن الدولة ، ويفصل العروبة عن الاسلام الروحي » ، « فيلتقي عندئذ مع المسيحية ضد الصهيونية » (٨٥) ؟

١٣ ـ الا يرى طارحو مشروع « الكانتونات » ان نتائجه السلبية ستطال مجمل المسيحيين اللبنانيين وغير اللبنانيين الموجودين على امتداد المنطقة العربية ؟

١٤ ـ الا يمكن لنا التأكيد ، استنتاجا ، ان دور المسيحيين في لبنان ، وفي باقي الدول العربية ، هو الالتزام بمصالح شعوب المنطقة والمشاركة في كفاحها من اجل بناء نهضتها العلمية واستقلالها السياسي والاقتصادي وتحقيق تطورها الاجتماعي ، وهذا الدور هو امتداد لما قام به مسيحيو القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ؟



القسم الثالث

حضارة اللبنانيين جزء من الحضارة العربية

عندما قرر منظرو الجبهة اللبنانية ان في لبنان تعدد حضارات واثنيات ، لم يقوموا ، فيما نعلم، باعطاء تحديدات معينة لهذه المصطلحات . ثم انهم لم يبرزوا الدراسات والابحاث العلمية التي اوصلتهم الى الاستنتاجات التي ينادون بها (١) .

وعليه فمن حقنا التقرير ان المسألة كانت ولا تزال ، بالنسبة اليهم ، منطلقة من موقف سياسي مسبق ، ولم ترتكز في اي حال على الابحاث الموضوعية الرصينة . ونحن، في هذه العجالة ، لا نزعم اننا نقدم احاطة شاملة بهذا الموضوع ، فالقضية تتطلب جهدا جماعيا وابحاثا مرتكزة على نواح شتى من العلوم ، ولكن حسبنا ان نورد بعض الملاحظات الاولية التي يمكن ان تشكل منطلقا لابحاث لاحقة .

اولا : تحديدات عامة :

ما هو التحديد العلمي لمصطلحات : الاثنية ، الثقافة ، الحضارة ، لكي تتمكن ، على ضوء ذلك من معرفة صحة مقولة التعدد الاثني والثقافي والحضاري في لبنان ؟ ولكن ، قبل ان نباشر بذلك ، علينا ان نشير الى ان هناك جملة تحديدات لكل مصطلح تبلغ درجة التباين بل التناقض في بعض الاحيان . والتحديدات التي سنعتمد هي الاكثر شمولا وصحة .

١ ـ الاثنية :

حدد شيروكوف الاثنية على انها « مجموعة اشخاص تجمعهم لغة وعادات وتنظيم اجتماعي مشتركة ، ويتفقون على انهم يعودون الى اصول واحدة . وهي تقدم اطارا مميزا لسير التغيرات الثقافية والبيولوجية » (٢) .

ويميز شيروكوف خمسة مظاهر :

١ ـ الانسجام الثقافي .

٢ ـ الانسجام النفسي والعقلي واللغوي .

٣ ـ الاستمرارية .

٤ ـ التميز الذاتي .

٥ ـ المظهر البيولوجي بمعناه الحصري .

والاثنية يتحدد تطورها ، في رايه ، بجغرافية مفروضة من قبل الطبيعة ، وبالثقافة التي هي ناتج انساني، وبالتفاعل

الناتج عن تداخل المواصلات والعلاقات مع مجموعات اخرى.
اما هيلمن (٣) فيشدد على العوامل النفسية لتكوين الاثنية : الوعي الجماعي ، الانطلاق الذاتي ، الارادة الخلاقة الجماعية . انه يميز بشكل واضح بين الاثنية والمجموعة اللغوية . وفي رايه ان العامل الجغرافي ومبدا العيش المشترك هما ، كذلك ، مقرران . ذلك ان اي حزب سياسي او اية مجموعة اهلية مشتتة ، دينية او مهنية ، لا يمكن ابدا اعتبارها كاثنية . الاثنية تحدد دائما بثقافتها . بالنسبة لعالم اللغة ، الثقافة تنتمي الى الاثنية ، والعكس بالعكس . اما في مجال العلوم السياسية فمدلول الاثنية يرتبط بمجموعة لغوية مرتكزة على ارضها الوطنية .

٢ ــ الثقافة :

يحدد العلامة ويسلر (٤) الانماط العالمية للثقافة :

١ ــ اللغة .

٢ ــ العناصر والمركبات المادية :

أ ــ عادات الطعام .
ب ــ المأوى .
ج ــ وسائل النقل والسفر .
د ــ الملبس .
هـ ــ الادوات والآلات .
و ــ الاسلحة .

ز ــ المهن والصناعات .

٣ ــ الفن : النحت والرسم والموسيقى وما الى ذلك . .

٤ ــ الاساطير والمعارف العلمية .

٥ ــ التصرفات الدينية :

أ ــ الاشكال الطقوسية .
ب ــ طقوس المرض .
ج ــ طقوس الموت .

٦ ــ الاسرة والنظم الاجتماعية :

أ ــ اشكال الزواج .
ب ــ نظم التسلسل القرابي .
ج ــ الميراث .
د ــ الضبط الاجتماعي .
هـ ــ الالقاب .

٧ ــ الملكيــة :

أ ــ الملكية العقارية وملكية الاشياء المنقولة .
ب ــ مستويات قيمة الاشياء والتبادل .
ج ــ التجــارة .

٨ ــ الحكومــة :

أ ــ الاشكال السياسية .
ب ــ الاجراءات القانونية والقضائية .

٩ ــ الحــرب .

٣ ــ الحضارة :

هناك تيارات متعددة في فهم الحضارة ، اهمها اثنان :

ــ من يقول بوجود حضارة انسانية واحدة .

ــ من يقول بأن هناك تعدد حضارات في العالم .

واذا انطلقنا مع التيار الثاني ، فما هو التحديد الذي يمكننا اعطاؤه للحضارة :

ا ــ المعنى التقييمي :

ا ــ المعنى التقييمي : الذي به نتوجـه الى القيـم التي تتضمنها الحضارات وتتميز بها ، او نقارن ونقابـل حضارة بأخرى . وبهذا المعنى نقول عن حضارة ما انها في تقدم او انحطاط او في ازدهار او ذبول (٥) ، وبالتالي فهذا الشعب متقدم حضاريا على الشعب الآخر .

ب ــ المعنى الوصفي : الذي يقصد به مجموع الحياة التي يحياها شعب واحد او شعوب عدة ، بما تضم من نظم في الحكم ، وسبل في تحصيل المعاش ، وعلاقات اجتماعية ، ومعرفة نظرية وعملية ، وقواعد سلوكية ، وعقائـد دينيـة وسواها من المقومات التي تتمثل بها تلك الحياة .

في هذا المعنى الوصفي للحضارة ، والمتماثل تقريبا مع الثقافة بمفهومها الانتروبولوجي الواسع ، نـورد المقومـات التالية :

١ ـ العادات والاعراف والتقاليد : وهي سبل السلوك الاجتماعي التي توصل اليها ابناء المجتمع بالتجربة والاختبار . فما من حضارة الا ولاهلها عاداتهم وتقاليدهم في تناول مآكلهم وفي اختيار البستهم ، وفي تأثيث بيوتهم ، وفي احاديثهم واجتماعاتهم ، وفي تصرفاتهم بعضهم مع بعض . وهذه العادات والتقاليد تنبث في القصص والامثال والاغاني والرقصات والازياء ، وتسري في الافراح والاحزان، وتبرز في الاعياد والمواسم ، وتقترن بالحياة اليومية، فيتالف من هذا كله ما يسمى بالفنون الشعبية ، وما يتصل بـ « الفولكلور » (٦) .

٢ ـ الاخلاق والفضائل الاجتماعية : كالصدق والامانة والمروءة والشهامة والعفة والشجاعة واكرام الضيف واغاثة الملهوف وامثالها .

٣ ـ التنظيم الاجتماعي : اهو مجتمع قبلي ، ام مدني، ام قومي ، ام ديني، ام غير ذلك ؟ ماذا عن نظم الزواج والقرابة والميراث ؟

٤ ـ التنظيم الاقتصادي : اهو مجتمع زراعي ، ام تجاري ، ام صناعي ؟ اقطاعي ام راسمالي ام اشتراكي ؟

٥ ـ الدين : وله اهميته الكبيرة في ذاته ومن حيث تاثيره في الحياة والتاريخ ، هذا التاثير الذي ينطلق من حيث هو موقف من اسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وعقيدة يتجسد بها هذا الموقف ، ومصدر لطقوس وفرائض لها اثرها الاجتماعي .

٦ ـ **اللغة والكتابة** : فاللغة تعبر عن الحضارة من وجهتين رئيسيتين : المفردات والتركيب. والكتابة تأتي بعد اهمية اللغة التي هي دوما مرآة للوضع الحضاري السائد .

٧ ـ **الآداب والفنون** : الآثار الشعرية والنثرية والطرائف والتحف الفنية (النحت التصوير ، الموسيقى ، المسرح) و « ادب العيش » (فنون المأكل والملبس والمخالطة والمحادثة الخ . . .) .

٨ ـ **التنظيم السياسي والقوانين الوضعية** : هل نظام الحكم استبدادي ام تيوقراطي ؟ ملكي دستوري ام ديمقراطي بمختلف صنوفه ام ديكتاتوري ؟ والشرائع والقوانين (٧) هل هي قوانين وضعية ام مذهبية دينية (اسلامية او مسيحية او موسوية ؟) .

هذه باقتضاب اهم التحديدات التي اعتمدناها لمصطلحات الاثنية ، الثقافة (بمعناها الانتروبولوجي) والحضارة ، وهي على كل حال تحديدات نسبية في صحتها وشموليتها ، وقابلة للمناقشة ، ولكنها تشكل الحد الادنى الذي يسمح لنا ان نناقش القائلين بوجود حضارتين او عدة حضارات في لبنان . بيد اننا نرى من الضروري ايراد **بعض الملاحظات** التي نعتبرها اساسية :

١ ـ اننا لا نحاول ان نزعم ان الطوائف المكونة للمجتمع اللبناني لها خصائص موحدة ومشتركة في جميع المجالات . فنحن من القائلين بوجود « كثارية مجتمعية » في لبنان تتمثل

اساسا في طوائفه المتعددة التي حافظت على بعض العادات والتقاليد والعناصر الثقافية والتراثية المميزة ، وقد طبعت هذه العناصر الافراد بدرجات متفاوتة من التاثيرات (٨) .

٢ ـ بالرغم من قولنا بان لبنان يشكل جزءا من الحضارة العربية الا اننا نؤكد على الطابع الخاص والمميز الذي يتمتع به شعب هذا الوطن ضمن البيئة الحضارية العربية .

٣ ـ اننا من القائلين بوجود تيارات متصارعة داخل الحضارة العربية :

ـ تيارات التعصب والجهل والسلفية والتبعية ، وهي تدافع عن البنى الموروثة (في الدين والسياسة والفن والمجتمع ...) وتدافع عن الواقع المتخلف وتنظر له ، وتستند قياداتها على قوى الهيمنة الخارجية .

ـ وتيارات العلمانية والتجديد والعقلنة والحداثة ، وتنطلق من الوعي الشامل لمكامن التخلف والانحطاط التي تلف شعوبنا، وتلتزم بموقف سياسي جذري يكافح لترسيخ الاطر الكفيلة بتحقيق الديمقراطية المتقدمة ، مستوعبا مجمل التحديات الخارجية والداخلية .

٤ ـ ماذا يمنع ان يصبح لبنان ، في واقعه الحضاري ومرتجاه ، نموذجا لما يمكن ان تتطور باتجاهه الحضارة العربية ؟

ثانيا : لماذا تشكل حضارة لبنان جزءا من الحضارة العربية ؟

لن ندرس في هذه العجالة كل جوانب الواقع الاثني والثقافي والحضاري للبنان ، على ضوء التحديدات التي اوردنا ، ولكن حسبنا ان نعرض لبعض النقاط البارزة التي يمكننا انتقاؤها من خلال تلك التحديدات .

١ ــ في اللغة :

ان اللغة هي من العناصر الاساسية التي تحدد الانتماء لاثنية او لثقافة او لحضارة معينة . فهي تحمل الميراث المشترك للمجموعة البشرية التي تنطق بها ، وتفرض نفسها على الافراد والاجيال كشبه معطى طبيعي لا يمكن محوه او تحويله الا ببطء شديد ومع تراكم الزمن ، ثم هي تشكل تماسكا وبنية توحد المجموعة التي تحملها وتفصلها عن المجموعات الاخرى في آن ، واخيرا لا تبقى حية الا بمقدار ما هي رمز واداة تعاضد وتمايز لهذه المجموعة البشرية .

واللغة العربية هي لغة اللبنانيين ، كل اللبنانيين ، « انكبوا على احياء تراثها فاذا « بالضاد » تكتسب ليونة شطآنهم ، وترتدي حلة هذا الجبل الاخضر ، فتزداد روعة وتألقا » (٩) . لقد قام اللبنانيون عامة ، والمسيحيون منهم بوجه خاص ، باغناء هذه اللغة بالمصطلحات والمعاجم والشعر والنثر . ويضيف الدكتور مالك حول دور اللبنانيين في اللغة العربية : « لن اعدد ما شرحوه من دواوين ، وما نشروه من آثار العرب والمسلمين ، وما اختزنته مكتبات اديارهم ومناسكهم من لآلىء الفقه والشريعة ، وحماسات الجاهلية،

وصدر الاسلام ، ومعلقات ، ونقائض ، ورسائل ومقامات ، وما عكفوا عليه من معاني الحديث النبوي والسيرة ، واخبار العرب وايامها ، وما الفوه من المعاني والبيان ، والعروض ، والادب ، والانساب والتاريخ » . ويقرر الدكتور مالك « ان اللغة العربية مؤسسة لبنانية يتجسد فيها التراث ، وعلينا ان نحب هذه المؤسسة ونعمل على حفظها وصيانتها بكل ما نملك من وسائل » (١٠) .

فاية حجة بعد ، في مجال اللغة ، تسمح لانسان منطقي ان يزعم ان في لبنان تعدد حضارات ، علما ان التعددالحاصل في مجال اللغة يثري اللغة العربية ولا يقلل من اهميتها .

وفي مجال الآداب والفنون نلاحظ ان هناك شبها واضحا بين الشعراء والادباء والفنانين المسيحيين والمسلمين ولئن تنوعت المصادر والاهتمامات فانها تتصف بمميزات جوهرية مشتركة .

واذا خضنا في التفاصيل يمكننا ان نورد عشرات الاسماء من الادباء والفنانين المسيحيين والمسلمين الذين يشتركون في خصائص موحدة . بل ربما يمكننا ان نقول عن هؤلاء الادباء والفنانين اللبنانيين انهم يلعبون دورا طليعيا في تجديد واثراء التراث الادبي والفني العربي .

٢ ـ في التنظيم الاجتماعي :

أ ـ اشكال الزواج :

من المسلم به عند علماء الاجتماع ان للزواج العربي

خصائص بارزة ، فهو يعقد بصفة مميزة على ابنة العم (ابنة اخ الوالد) . وتدل عبارات القرابة على تطابق في التسمية بين ابنة العم هذه (بنت العم) والزوجة . ويولد نظام الزواج هذا بنية خاصة تؤدي الى زواج من الجب العائلي يمكن ان ندعوه انقساما متشعبا ، وهذه البنية متفقة كليا ونوع المعيشة التي ترافقها عادة ، اي معيشة البدو المسلمين مربي الحيوانات ، حيث لا تتاتى الثروة من ايراد ثابت ، وانما من نمو منتظم في الراسمال (١١) .

والعلماء الذين درسوا الزواج عند المسيحيين الشرقيين عامة والموارنة بوجه خاص ، لاحظوا مدى التشابه في العادات بين زواج المسيحيين والمسلمين العرب .

فقد لاحظ هذه الظاهرة الاجتماعية المونسنيور فغالي في دراسة عن « العائلة المارونية » (١٢) ، كما اكدها الباحث الفرنسي كرسويل في دراسته لقرية بقسميا المارونية . وفي دراسة مقارنة بين قريتين مارونية وشيعية في منطقة الهرمل (بتدعي وفلاوي) يتبين للاب اليسوعي توم سيكينغ، من خلال الاحصاءات الميدانية ، انه اذا كان صحيحا ان سكان بتدعي وفلاوي لا يتزاوجون كثيرا من بنات قريتهم . فهم بالعكس يحبون التزاوج من اشخاص يحملون اسم العائلة نفسه (١٣) .

ففي بتدعي يوجد ٦٦ عائلة حيث الزوج والزوجة يحملان اسم العائلة نفسه ، اي ٥١٫٢ ٪ من نسبة عائلات القرية ، وفي فلاوي يوجد ٩٧ عائلة حيث الزوج والزوجة يحملان اسم العائلةنفسه، اي ٦٦٫٩٪ من عائلات القرية(١٤).

ويقرر الاب اليسوعي بان عادة الزواج بين الاقارب المسيحيين في لبنان هي دون شك تقليد للمجتمع الاسلامي التقليدي الذي يحيط بهم منذ عصور(١٥). وقد لاحظ هذه الظاهرة الاب دنديني في القرن السادس عشر (١٦) ، كما اكدها الدكتور الياس القطار في اطروحته عن مجتمع جبل لبنان في عهد المماليك (١٧) .

ومن اصل ١١٠ زيجات في بقسميا نعرف فيها معرفة اكيدة اسم الزوجة ، في ٢ ٪ منها تزوجت الفتيات ابناء عم من الوجه الاول ، وفي ٩ ٪ تزوجن ابناء غير لزم وبينهن وبين ازواجهن احيانا فروق في الاجيال ، وفي ٢٤ ٪ منها تزوجن اقرباء آخرين من جهة الاب . وعلى سبيل المقارنة فانه في دير دوريت ، وهي بلدة في الشوف ، وداخل احدى كبرى عائلاتها ، من اصل ٨٧ زيجة ٦ ٪ كانت بين ابناء عم ، و٢١٪ بين ابناء عم بينهم وبين ازواجهم احيانا فروق في الاجيال ، و ٣٨ ٪ من الزيجات الاخرى من بين اقرباء آخرين من جهة الاب (١٨) .

ب ــ تعدد الزوجات ونسبة الولادات :

تحاول الايديولوجية السائدة في الاوساط المسيحية

ان تركز على هاتين الظاهرتين كعاملي تمايز بين العائلة الاسلامية والعائلة المسيحية . ولكن الدراسة الميدانية للاب توم سيكنغ اليسوعي (١٩) حول القريتين المارونية والشيعية (بتدعي وفلاوي) تبرز لنا مكامن التضخيم في هذا المجال :

١ ـ فالعدد الوسطي للاولاد في العائلة هو تقريبا متساو . في بتدعي يوجد ٤٢٥ ولدا لـ ٧٩ عائلة ، اي ما نسبته ٥ر٣٨ للعائلة . وفي فلاوي يوجد ٤٧٣ ولدا لـ ٨٧ عائلة اي ما نسبته ٥ر٤٤ للعائلة . والجدول ٢٥ يقارن بين عمر الرجل وعمر المراة عند زواجهما الاول في بتدعي وفلاوي . ويمكننا الاستنتاج من هذا الجدول ان عمر الرجل الوسطي عند زواجه الاول هو ٤٧ر٢٦ سنة في بتدعي ، و ٠١ر٢٥ في فلاوي . وبالنسبة للمراة نجد ان عمر الزواج ٢٩ر٢٠ سنة في بتدعي ، و ٩٣ر٢١ سنة في فلاوي .

٢ ـ وتشير الدراسة نفسها (٣٠) ، في موضوع تعدد الزوجات ، ان ثمة عائلتين تسكنان صيفا شتاء فلاوي يوجد فيهما زوجتان . وتؤكد الدراسة ان البنية الزوجية المنفردة ، في الاجمال ، هي بنية متينة في بتدعي كما في فلاوي . ورغم التشريعات الدينية المختلفة لا يوجد سوى فوارق بسيطة في الواقع الملموس .

ج ـ سلطة الاب :

لقد اشار جميع الذين كتبوا عن الشرق الاوسط الى

المكانة الهامة التي يشغلها الاب في الحياة العائلية . فالسلطة اجمالا بين يديه، في العائلة المسيحية والعائلة الاسلامية(٢١). حتى ان الرئيس كميل شمعون يقول انه ظل حتى الثامنة والعشرين من عمره يعطي والده ما يكسبه من مهنة المحاماة (٢٢) .

ومن الجدير ملاحظته ان اسماء النساء ، في شجرات العائلات اللبنانية والعربية لا تظهر ، لان مجتمعنا يعتمد الابوة اساسا ، وهذا لا يعني نزعة استعلاء بقدر ما يعبر عن ضرورة بنائية في الانظمة الاحادية البعد التي ترمي الى حفظ نظام الابوة سليما من اي تغيير (٢٣) .

د ـ الانقسام العشائري :

ان الظاهرة الاساسية في البنية الاجتماعية العربية انقسامها على اساس العصبية العشائرية والقبلية ، والشواهد على هذه الظاهرة هي اكثر من ان تحصى . والبيئة الاجتماعية المسيحية عامة ، والمارونية بوجه الخصوص ، تعطي البراهين الواضحة على « عروبتها » على هذا المستوى .

فتاريخ العائلات المارونية ، في العصر الوسيط وفي ظل الامارة ، مليء بالصراعات بين القيسية واليمنية . وقد عرض البطريرك الدويهي (٢٤) الصراع الذي نشب في العاقورا (المارونية) بين اليمنية والقيسية من اهل القرية

وذلك عام ١٥٣٤ . والنزاع بين اليزبكية والجنبلاطية، فيما بعد ، هو استمرار لهذا المفهوم الى حد كبير .

بل ان بعض علماء الاجتماع المعاصرين (٢٥) الذين درسوا القرى المسيحية في لبنان لاحظوا هذا الانقسام الثنائي . فكرسويل الذي درس قرية بقسميا (المارونية) لاحظ انقسام البلدة عامة الى فريقين : آل فاضل وآل خضاع من جهة ، وآل كلش وآل بجاني من جهة اخرى . ويحصل هذا الانقسام طبقا لنسق ثابت في البلدان ذات الثقافة العربية يعود اساسه الى انقسام الشعوب العربية قديما بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب . وقد رافقتهم هذه السمة طيلة تاريخهم وانتشارهم عبر العالم . ويمكننا القول ايضا انه في كل مرة كان يختفي فيها احد طرفي هذا الانقسام (حزب سياسي ، طائفة دينية ، فئة اجتماعية) كانت الامور تجري وكان هناك جهودا تتضافر لايجاد فريق آخر يضارع الفريق الاول قوة ، سعيا لخلق توازن مع المنتصرين . ولا تزال هذه السمة قائمة الى اليوم بشكل اكثر تنوعا في الاحياء الصغيرة .

ويشير غوليك في دراسته لبلدة المنصف (قضاء جبيل) ، وسكانها من الروم الارثوذكس ، الى بعض مراحل التنظيم الثنائي حاضرا وماضيا ، ولكنه لم يتوصل الى عقد ارتباطات بديهية بين الاجباب ، او الاحزاب ، او الفئات المتنافسة .

وعلى كل حال فان نظرة سريعة الى واقع الصراع داخل اعرق حاضرتين للموارنة ، بشري وزغرتا ، بين العائلات من جهة ، وبين المدينتين من جهة اخرى ، يوضح لنا العصبية العشائرية العربية باجلى صورها .

هـ ـ نظام القرابة :

لقد ابرزت اكثر من دراسة علمية الطابع العربي لنظام القرابة عند الموارنة . فكرسويل (٢٦) يؤكد ان نظام القرابة في بقسميا هو نظام البدو التقليدي ، وعباراته هي العبارات المستخدمة في كل البلدان الناطقة بالعربية .

فلو اخذنا مثلا القول المأثور الذي يبرز بجلاء احد اهم مظاهر « الجو » السائد في هذا النظام « انا وخيي عا ابن عمي ، وانا وابن عمي عالغريب » ، فاننا نرى فيه ذكرا لتعبير « ابن عم » الذي لا يقصد به اجمالا كل ابناء العم فقط بل ايضا اخ الزوجة . لذلك ، اذا اراد احد اهالي بقسميا ان يشير بدقة الى ابن العم الموازي لجهة الاب ، فهو يضيف الى عبارة « ابن عم » ، عندما لا تسمح له القرينة اللغوية بالتمييز ، كلمة « لزم » التي يوحي مصدرها بمعنى الضرورة والارغام والاجبار . وتستعمل الكلمة ذاتها في الاوساط الاسلامية المتعددة الزيجات التمييز بين الاخوة والاخوات المتحدرين من ذات الاب والام .

ومن بين عبارات المصاهرة هناك عبارات تتميز بدقة

وصفها لعلاقات القرابة مثل « سلف » ومؤنثها « سلفة » ، و « عديل » (التي ليس لها مؤنث بالطبع لان الاختين المتزوجتين تسكنان بيتين مختلفين) . ونشير ايضا الى ان العبارة المستخدمة لتعيين زوج الاخت « صهر » هي عبارة تستعمل احيانا لتقريب احد اقرباء المصاهرة كلاميا من النواة العائلية (كما في قولهم « صهر العيلة ») .

وتماثل هذه الصيغة ـ يؤكد كرسويل ـ الصيغة التي يستعملها مسلمو لبنان ، الا في ما يتعلق بالعبارات التي فرضتها عادة تعدد الزوجات .

ومن جهة اخرى ، جدير بنا ان نذكر ان الاقارب، والام خاصة ، يخاطبون اولادهم الشباب بعكس عبارات القرابة ، فتنادي الام ابنها او ابنتها على السواء بعبارة « ماما » وتصبح هذه الاشارة اقل الفاتا للنظر حين ندرك ان في العربية مجموعة من العبارات المتناقضة المعنى تعرف بالاضداد (٢٧).

و ـ في بنية السكان :

من المعروف ان الشعب اللبناني هو شعب فتي، فنسبة ٥٢ر٧ ٪ من السكان عمرهم اقل من ٢٠ عاما . وفي الدراسة المقارنة للاب سيكينغ (٢٨) بين القريتين المسيحية والشيعية برزت الحقائق التالية : في بتدعي ٢٥٣ شخصا من اصل ٤٣٧ لهم من العمر اقل من ٢٠ سنة، اي ٥٧،٨٩ ٪ ، وفي فلاوي ٢٦٩ شخصا من اصل ٤٦٧ لهم نفس العمر اي ٥٦ر٥١ ٪ ،

اما الذين عمرهم بين ٢٠ و ٦٥ عاما فعددهم في بتدعي ١٦٥ اي نسبة ٣٦٫٩٧٪ ، اما في فلاوي فعددهم ١٧٦ شخصا اي نسبة ٣٦٫٩٧ ٪ .

وربما تبرز دراسات ميدانية اخرى تشابها في بنية السكان بين المسيحيين والمسلمين الذين يعيشون في المدن .

ز ـ في مستوى التعليم :

ليس من شك في ان نسبة المتعلمين بين المسيحيين هي اكثر منها بين المسلمين ، والحقيقة العلمية تبين ان اسباب ذلك لا تعود الى الجانب الديني بل الى عوامل متنوعة وتاريخية عرضناها في محاضرتنا عن مقولة الطائفة ـ الطبقة. ولكن يجدر بنا ان نشير الى ان نسبة المتعلمين بين المسلمين اخذت في التزايد مع نمو التعليم الرسمي واتساعه،وبالتالي كان هناك تغير على هذا المستوى يتجه اكثر فاكثر لردم التفاوت النسبي بين المسلمين والمسيحيين .

وخطا المنظرين للتعددية الحضارية ، في هذا المجال ، وفي المجالات الاخرى ، انهم يقارنون بين الاوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لفئات معينة من المسيحيين (عادة الفئات الميسورة) ، وبين الاوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للفئات الفقيرة من المسلمين . والحقيقة ان مثل هذه المقارنة خاطئة من حيث المنطلق ، فاذا اخذنا واقع التعليم عند ابناء البورجوازية السنية البيروتية نراه يشبه

الى حد كبير واقعه عند البورجوازية المارونية مثلا (غالبا ما يذهبون الى مدارس الارساليات ، والى الجامعتين الاميركية واليسوعية) .

وفي قريتين ريفيتين كبتدعي وفلاوي يلاحظ الاب سيكينغ (٢٩) ، في مجال مقارنة مستوى التعليم ، بان نقاط التشابه هي اكثر اهمية من نقاط الاختلاف بين السكان المسلمين والمسيحيين ، فهناك :

١ ـ التعليم المعمم على الناشئة حاليا .

٢ ـ السرعة التي تم بها تعميم هذا التعليم رغم ان نسبة الاميين هي كبيرة لدى الاجيال السابقة ، هذه الاجيال التي لم تكن اميتها نابعة من ارادة سيئة بقدر ما كانت مرتبطة بعدم القدرة على الذهاب الى المدرسة .

٣ ـ تزايد الامية مع تزايد السن .

٤ ـ تزايد الامية هو اكثر نسبة بين النساء منه بين الرجال .

وانطلاقا من الدراسات الميدانية والجداول المقارنة التي قام بها الاب اليسوعي بين القريتين يستنتج :

١ ـ ان عدد التلاميذ في بتدعي هو اكثر منه في فلاوي (في تكميلية القرية) . وعدد الطلاب في فلاوي اكثر منه في بتدعي في المرحلتين الثانوية والجامعية .

٢ ـ دار المعلمين والمدرسة المهنية ليس لهما رواج كبير .

فالتعليم التقني والحرفي لا يجذب القرويين الذين يفضلون نوعا من « الوظيفة » .

٣ – رغم بعض الفوارق ، فالاوضاع في هاتين القريتين تتشابه كثيرا (٣٠) .

٣ – في الجوانب المادية من الحضارة والثقافة :

اذا استثنينا بعض الميزات الجزئية ، فاننا نلاحظ ان عادات الطعام ، والملبس ، وهندسة البيوت ، والادوات والآلات المستعملة ، وكذلك وسائل النقل والسفر والمهن والصناعات ، هي على تطابق وتشابه كبير بين المسيحيين والمسلمين . حتى ان عادة شرب « كاس العرق » متفشية بكثرة في الاوساط الاسلامية بالرغم من الحوائل الدينية المطروحة .

وفي مجال « آداب العيش » الاخرى كالمخالطة والمحادثة ، فثمة تعابير مشتركة للتحية (الله معكم، السلام عليكم ، مرحبا ، صباح الخير ، مساء الخير الخ . . .) ، وهناك انماط معينة من الاسئلة (كيف الصحة ؟ كيف العيال ؟ كيف الاحوال ؟ انشاالله الصحة منيحة ؟ الخ . . .). اما ظاهرة عدم اختلاط النساء بالزوار (وهي عادة موجودة في بعض الاوساط الدرزية والاسلامية) فهي على تراجع مع ازدياد ونمو الثقافة والتعليم . ولا يجب ان ننسى ، مثلا ، ان عادة وضع الحجاب على الوجه عند النساء المسلمات كانت

شبه شاملة منذ نصف قرن وهي الآن لا تكاد تكون موجودة.

اما اذا تناولنا الجوانب المتصلة بالاقتصاد، وخاصة في مجالات الزراعة والتجارة والصناعة، فاننا نلاحظ، على المستوى التقني، فرقا ضئيلا جدا بين الفلاح الدرزي والفلاح الماروني في الجبل، او بين الفلاح الشيعي والفلاح الكاثوليكي في البقاع. وكذلك في مجالي التجارة والصناعة، ومجال الحرف.

٤ ـ في قضية التمايز الديني:

لكي نكون موضوعيين لا بد من الاشارة الى ان ثمة تمايزا في الطقوس الدينية بين المسيحيين والمسلمين، بل ان هناك تباينا بين طقوس الطوائف المسيحية والطوائف الاسلامية. وهذا التباين ينعكس على بعض مظاهر السلوك الاجتماعي لدى الطوائف، وكذلك على الاتجاهات الايديولوجية لابناء تلك الطوائف. وهذه المظاهر المتباينة هي الارضية التي ينطلق منها منظرو التعددية الحضارية وطارحو مشروع الكانتونات.

لكن، نستطيع في هذا المجال ايراد الملاحظات التالية:

١ ـ لقد شدد الدكتور شارل مالك في كتابه «لبنان في ذاته» على ان التواجد الاسلامي المسيحي السمح والرائع هو من الخصائص التي اذا سقطت زال لبنان. فهو يؤكد ان «مجالات التعاون والتفاهم بين المسلم والمسيحي في لبنان

لا حد لها . يتعاونان ويتفاهمان في السياسة والمجتمع والعلم والفن والاقتصاد والمشاريع والحياة الواحدة العامة ، في الخلق الادبي والفكري ، في الشؤون الاخلاقية ، في هذه اللغة العربية ، في كل ما يمت الى العقل والانسان والطبيعة ، في الاسلامية الانسانية المثلة في آيات من القرآن لا حصر لها ، وفي التراث الفلسفي والصوفي الاسلامي . ويتعاونان ويتفاهمان كذلك في مجابهة مصير لبنان والعرب والشرق الاوسط معا . وتوجد مجالات هامة كذلك للتفاهم حتى في بعض الشؤون العقائدية الدينية » . ويضيف : « لذلك ، فالتواجد الاسلامي المسيحي الحر السمح يميز لبنان تمييزا تاما عن غيره ، وبدون هذا التواجد لا يوجد لبنان » (٣١) .

اما الاستاذ جواد بولس فيؤكد ، في كتابه « شعوب وحضارات الشرق الادنى » ، ان مسيحيي الشرق هم اقرب الى مواطنيهم المسلمين منهم الى اخوانهم في العقيدة الدينية في الغرب » (٣٢) .

هذان التاكيدان من القطبين ـ المفكرين في الجبهة اللبنانية يناقضان الجوهر النظري والترجمة السياسية لمقولة التعددية الحضارية . فهل الحقائق الحضارية والتاريخية والسياسية تستند على العلم ، ام انها تتغير بين يوم وآخر مع تغير المواقف والافكار المسبقة ؟!

٢ ـ ان الانتماء الى مجموعة ثقافية او اجتماعية ، كطائفة في الشرق الاوسط والاثنية في افريقيا السوداء او

فرنسا (البريتون والاوكسيتان) او جنوب شرق اسيا ، لا يتناقض مع الانتماء الى شعب واحد وكيان سياسي موحد، ذلك ان مستويات الانتماء مختلفة ومتكاملة وليست متناقضة . ويمكن للانسان مثلا ان ينتمي ، من ناحية جزء من تراثه وبعض عاداته المحلية وتقاليده او روابطه الاجتماعية ، الى البريتون او الباسك او البروتستانت (في منطقة السيفين في فرنسا) او الهوسا والايبو في نيجيريا ، كما ينتمي في الوقت نفسه ، بصورة لا ريب فيها ، الى الشعب الفرنسي او الشعب النيجيري او كيانهما السياسي . وعليه فشكل التنظيم ، او شكل الدولة ، مرتبط بمستوى الانتماء الى شعب ، وليس الى الاجزاء الثقافية والاجتماعية المكونة لهذا الشعب .

٣ ـ انطلاقا مما تقدم لا يمكن استنتاج شكل ما من التنظيم السياسي (مثلا اللامركزية السياسية او الكانتونات) لمجرد وجود مجموعات ثقافية واجتماعية داخل الشعب الواحد او الكيان السياسي الواحد .

ان لدى معظم شعوب العالم ودوله مثل هذا التنوع الذي هو نتاج التاريخ والجغرافية وتلاحق الحضارات والثقافات المختلفة وتلاقحها . ودور القوى الحية هو ان تستطيع ، على قاعدة هذا الغنى التاريخي ، بناء صرح وحدتها المجتمعية والسياسية بما يؤمن تقدمها ونهضتها المادية والمعنوية .

خاتمة

لقد كانت هذه الدراسة مقدمات اولية عرضنا فيها بعض النقاط التي تعطي البراهين الدامغة على تهافت مقومات التعددية الحضارية في لبنان . لكننا نسارع للتأكيد بأن ثمة تعددية من نوع آخر في مجتمعنا اللبناني ، وكذلك على امتداد شعوب المنطقة العربية :

ـ تعددية بين قوى تريد تحقيق الاستقلال والنهضة والتقدم العلمي ، وقوى تريد الابقاء على التبعية والركود والجهل .

ـ تعددية بين قوى تربط العروبة بمفاهيم تيوقراطية وعنصرية وسلفية ، وقوى تربط العروبة بالبعد العلماني وتصارع لان يكون لبنان النموذج المستقبلي لما يمكن انتتجه نحوه هذه العروبة .

ـ تعددية بين قوى ، باسم الثورية والتقدمية، تركب موجات التطيف فتربط الطوائف بالطبقات ، وتسمي العنف الغريزي ثورة ، وقوى تنطلق من الفهم التاريخي والعلمي لتناقضات المجتمع ، وتصارع لاحداث التغيير الاجتماعي

والسياسي الشامل ، وتسعى لبناء الانسان الثوري الجديد المتسلح بالعقل الجديد والقيم والمفاهيم الجديدة قبل التسلح بالبندقية .

ـ تعددية بين قوى تغفل عن الخطر الصهيوني فتتحالف معه ، او قوى تخدم خططه ، من خلال تخلفها ولا عقلانيتها وعصبياتها الطائفية والعشائرية ، وقوى تستوعب الخطر الصهيوني وتدرك ان الانتصار عليه يرتبط بأحداث التحولات الجذرية في مجتمعاتنا العربية ، فنهزم مقومات حضارتنا المتخلفة والراكدة في الوقت الذي نسعى فيه لانزال الهزيمة باسرائيل .

هذه هي التعددية التي نراها في لبنان وفي محيطه العربي . ومهما بدا الافق الآني قاتما ، ومهما بدت قوى التخلف والردة ومن وراءها بمظهر المنتصر ، فان الغد لن يكون الا لقوى الوعي الديمقراطي العلماني في لبنان ، وعلى امتداد المنطقة العربية .



هوامش القسم الاول

١ ــ لبنان المستقبل من الانصهار السياسي الى الانشطار النفسي والجغرافي ، سلسلة القضية اللبنانية رقم ١٢ ، منشورات الكسليك. كما نشر هذا البحث على حلقات في نشرة «اللبناني» بتوقيع الاب مونس.

٢ ــ المرجع نفسه ، ص ٨ .

٣ ــ المرجع نفسه ، ص ١٤ .

٤ ــ المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

٥ ــ المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

٦ ــ لبنان الكبير : مأساة نصف قرن ، سلسلة القضية اللبنانية رقم ١ ، منشورات الكسليك .

٧ ــ المرجع نفسه ، ص ٦ .

٨ ــ الاسلام السياسي وهوية لبنان ، سلسلة القضية اللبنانية رقم ١٤ ، منشورات الكسليك ــ ومقال في مجلة الصياد، العدد ١٦٧٦ ، تاريخ ١٩٧٦/١٢/٩ .

٩ ــ الاسلام السياسي ...، المرجع السابق، ص ٣٠ .

١٠ ــ مجلة الصياد ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

١١ ــ الاب يوسف مونس ، المرجع السابق ، ص ٨ .

١٢ ـ المرجع نفسه ، ص ٦ .
١٣ ـ مجلة الصياد ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .
١٤ ـ فؤاد افرام البستاني ، المرجع السابق ، ص ٤ .
١٥ ـ قدم هذه الوثيقة مع فؤاد افرام البستاني كل من شارل مالك وجواد بولس وادوار حنين .
١٦ ـ راجع مجلة العمل الشهري، العدد الاول، ص ١١٠
١٧ ـ المرجع نفسه ، ص ١٠٧ .
١٨ ـ المرجع نفسه ، ص ١٠٧ .
١٩ ـ الاب يوسف مونس ، المرجع السابق ، ص ٨ .
٢٠ ـ المرجع نفسه ، ص ٩ .
٢١ ـ المرجع نفسه ، ص ٩ .
٢٢ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٤ .
٢٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .
٢٤ ـ فؤاد افرام البستاني ، المرجع السابق ، ص ١٥ .
٢٥ ـ من وثيقة مقدمة الى خلوة الجبهة اللبنانية في دير سيدة البير ، مجلة العمل الشهري ، العدد الاول ، ص ١١١ .
٢٦ ـ مجلة الصياد ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .
٢٧ ـ الاب يوسف مونس ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .
٢٨ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٠ .
٢٩ ـ المرجع نفسه ، ص ٣١ .
٣٠ ـ فؤاد البستاني ، المرجع السابق ، ص ١٢ .
٣١ ـ الاسلام السياسي وهوية لبنان ، المرجع السابق .

ص ٣٠ .

٣٢ ـ المرجع نفسه ، ص ٤١ .

٣٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٩ .

٣٤ ـ الاب يوسف مونس ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

٣٥ ـ فؤاد البستاني ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

٣٦ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

٣٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

٣٨ ـ المرجع نفسه ، ص ٤٦ .

٣٩ ـ المرجع نفسه ، ص ٤٨ .

٤٠ ـ مجلة العمل الشهري ، العدد الاول ، ص ١١٤ .

٤١ ـ جريدة الانوار ، تاريخ ١٩٧٨/١/٢٣ .



هوامش القسم الثاني

١ ـ كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلاميـة ، ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم ، دار الحقيقة ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

٢ ـ موريس لومبار ، الاسلام في عظمته الاولى ، ترجمة ياسين الحافظ ، دار الطليعة ، ص ٥ .

٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٩ .

٤ ـ Roger Garoudy, pour un dialogue des civilisations de Nôel, 1977.

(ترجمه الى العربية عادل العوا ، دار عويـدات ، سلسلة زدني علما) .

٥ ـ المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

٦ ـ المرجع نفسه ، ص ٨٢ .

٧ ـ خاصة محاضرته في دار الفتـوى عـام ١٩٧١ عن الاسلام وتوافقه مع العلمانية . وقد نشرت في جريدة لسان الحال بتاريخ ٢٠ و ٢٤ و ٢٦ نيسان ١٩٧١ .

٨ ـ راجع مداخلته في كتاب :

Les musulmans - consultation islamo - Chrétienne, Beauchesne, Paris, 1971, P. 64

٩ — المرجع نفسه ، ص ٦٥ .
١٠ — جريدة النهار ، تاريخ ٨ و ١٥ حزيران ١٩٧٥ .
١١ — مجلة الصياد ، العدد ١٦٩١ .
١٢ — مجلة الصياد ، العدد ١٦٩٥ .
١٣ — ملحق جريدة (Le Reveil) ، تاريخ ٨ نيسان ١٩٧٧ .
١٤ — مجلة الحوادث ، العدد ١٠٦١ .
١٥ — مجلة الصياد ، العدد ١٦٨٩ .
١٦ — Chafik Chehata, Droit musulman, Applications au Proche - Orient, Précis Dalloz, P. 3 et 4.
١٧ — المرجع نفسه ، ص ١ .
١٨ — راجع محاضرة الاستاذ محمود العنابي ، الرئيس الاول لمحكمة تونس الاستئنافية ، نشرت في النشرة القضائية اللبنانية سنة ١٩٦٢ ، ص ٧٥ .
١٩ — راجع : ايف لاكوست ، ترجمة عبد الرحمن حميدة، ص ١٠٩ و ٢٦٤ .
٢٠ — مكسيم رودنسون ، الماركسية والعالم الاسلامي ، ترجمة كميل داغر ، ص ٩٩ .
٢١ — راجع كتب المؤرخ الكنسي الكبير Emile Poulat وخاصة مقاله : Modernisme et Modernité une réaction religieuse à une révolution historique Journal de psychologie, No. 2. Avril - Juin 1976, P. 133-159

والجدير بالذكر ان ثمة فرقا بين المسيحية كواقع سوسيولوجي (chrétiennité) والمسيحية كعقيدة

(christianisme) ، ونحـــن في اشارتنـــا هـــذه نقصـــد المعنى الاول .

٢٢ ـ راجع اطروحة الاب اليسوعي Thom Sicking وهي بعنوان :

Religion et developpement, Etude comparative d'un village Chrétien et d'un village musulman - Chiite au Liban, thèse pour le doctorat en sociologie, Paris V, 1977, P. 7.

وراجع ايضا :

Jean Yves Calvez, Aspects politiques et sociaux de pays en voie de developpement, Paris, 1971, P. 153.

٢٣ ـ Henri Desroche, Sociologies religieuses Paris, 1968, P. 160 - 161.

٢٤ ـ اي تتركز على الامـــور الاخروية في مرحلـــة ما بعد الموت .

٢٥ ـ Georges de Lagarde, La naissance de l'esprit laique au déclin du moyen âge, 1956, P. 7.

٢٦ ـ يمكن مراجعة الصراع المرير بين الدولة والكنيســة للسيطرة على المدرسة والجامعة في فرنسا في كتاب :

Georges Weill, Histoire de l'enseignement secondaire en France, Paris, Payot, 1921, P. 57.

٢٧ ـ La Laicité, P.U.F., 1960, P. 4.

٢٨ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

٢٩ ـ يصدر قريبـــا ضمن سلسلة « لبنـــان الديمقراطي العربي العلماني » كراس فيـــه مقدمـــات نحو فهم

الايديولوجيات الطائفية السائدة في لبنان ، وهو اعداد مجموعة من الديمقراطيين العلمانيين .

٣٠ ــ في كتبه : « الوعي القومي » و «في معركة الحضارة» و « نحن والمستقبل » .

٣١ ــ في مقال له بعنوان « مسألة لبنان » (المؤلفات الكاملة ، المجلد الثالث ، ص ٣٨٥ ــ ٣٨٨) يدعو الى قيام دولة علمانية ديمقراطية في لبنان ، ويندد بالعروبة الطائفية .

٣٢ ــ ابحاث مختارة في القومية العربية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ ، ص ٢١٣ ــ ٢١٧ .

٣٣ ــ مختارات ساطع الحصري ، دار القدس ، الجزء الثاني ص ١٣١ .

٣٤ ــ المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

٣٥ ــ راجع : كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، دار النهار للنشر، ١٩٦٧ ، ص١٩٧ ــ هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب ، دار النهار للنشر ١٩٧١ ، ص ٣١ ــ زين زين نشوء القومية العربية، دار النهار للنشر ١٩٦٨ ، ص ٤٠ ــ جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، دار العلم للملايين ، ص ١١٤ ــ مجيد خدوري ، الاتجاهات السياسية في العالم العربي ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٣٠ ــ ٣١ .

٣٦ ــ ناصيف نصار ، نحو مجتمع جديد ، دار الطليعة ، ص ٢٦ .

٣٧ ـ هيام عقل ، بعض المفكرين المسيحيين والمسألة القومية ، اطروحة كفاءة في كلية التربية ـ الجامعة اللبنانية .

٣٨ ـ جورج انطونيوس ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

٣٩ ـ نقولا زيادة ، ابعاد التاريخ اللبناني الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٢ ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

٤٠ ـ راجع توطئة كتابه :

Le Reveil de la nation arabe, Librairie Plon, Paris, 1905.

٤١ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٤٥ .

٤٢ ـ انظر : جورج انطونيوس ، المرجع السابق، ص١٧٢ ـ زين زين ، المرجع السابق ، ص ٧٥ ـ هشام شرابي ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ ـ مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص ٣١ .

٤٣ ـ امين الريحاني ، القوميات ، الجزء الثاني، ص ١٦١

٤٤ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٨ .

٤٥ ـ المرجع نفسه ، ص ١٣٢ .

٤٦ ـ المرجع نفسه ، ص ١٣٣ .

٤٧ ـ المرجع نفسه ، ص ١٦١ .

٤٨ ـ المرجع نفسه ، ص ١٣٣ .

٤٩ ـ المرجع نفسه ، ص ١٦٠ . ويقول الريحاني : « القومية تجمع الشعوب والدين يفرقهم » (ملوك العرب ، الجزء الاول ، ص ١٣٢) .

٥٠ ـ المرجع نفسه ، ص ١٤٩ .
٥١ ـ المرجع نفسه ، ص ١٧٤ .
٥٢ ـ المرجع نفسه ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .
٥٣ ـ المرجع نفسه ، ص ١٥٢ .
٥٤ ـ اسعد داغر ، ثورة العرب ، القاهرة ١٩١٦ ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .
٥٥ ـ جريدة القاهرة ، العدد ٢٢١ ، تاريخ ١٣ مايو ١٩٥٤ .
٥٦ ـ من كراس بعنوان : الدعاية العربية ، اهدافها وطرقها ووسائلها ، ص ٤ ـ ٥ .
٥٧ ـ من خطبة القاها . (انطوان داغر ، اسعد داغر رجل السياسة والادب، اطروحة، ١٩٧٠ ، ص٥٤).
٥٨ ـ آخر المتحاملين على خير الله خير الله هو الدكتور وجيه كوثراني في كتابه الصادر حديثا حول « الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ ، معهد الانماء العربي ، ص ٢١٤ . والجدير بالذكر ان هذا المؤلف يبدي في موقفه من خير الله موقفا طائفيا يفتقر الى الادلة والبراهين عندما يطلق عليه تهمة العمالة لفرنسا . (يصدر قريبا ضمن « سلسلة لبنان الديمقراطي العربي العلماني » كراس بعنوان : « الايديولوجيات الطائفية والنظرة الى التاريخ اللبناني » يتناول ، في قسم منه ، هذه القضية) .

٥٩ ـ Le problème du levant - Les régions arabes libérées, Edition Ernest Leroux, Paris, 1919, P. 9 et 48.

٦٠ ـ المرجع نفسه ، ص ١٠٦ .

٦١ ـ المرجع نفسه، ص ١٦ ـ هيام عقل، المرجع السابق، ص ٥٩ .

٦٢ ـ هناك اشارات متعددة في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية الى استقلالية خير الله عن اي توجيه فرنسي .

٦٣ـ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ، تقارير قنصلية بيروت ، مجلد رقم ١ ، ص ١٢ .

٦٤ ـ هي علاقات تربط الفلاح (فاسال) بالسيد (سينيور) تبعا لطبيعة النظام الفيودالي .

٦٥ ـ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ، تقارير قنصلية بيروت ، مجلد رقم ١ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٨ .

٦٦ ـ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

Levant - E (Syrie - Liban, No. 125, P. 196 - 203).

٦٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٢١٦ .

٦٨ ـ المرجع نفسه ، ص ١٦٤ (بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٢٠) .

٦٩ ـ المرجع نفسه ، ص ١٢٩ .

٧٠ ـ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

Levant - E. (Syrie - Liban, No. 12, P. 280, et No. 13, P. 90).

٧١ ـ Edmond Rabbath, unité syrienne et devenir arabe, Paris, 1937, P. 167 - 168.

٧٢ ـ من كراس « لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الادنى » ، بدون تاريخ ، ص ٣٤ ـ والجدير بالذكر ان الكثير من الحجج والاسانيد التي يعرضها منظرو التعددية الحضارية موجودة في هذا الكراس ، وفي بعض الاحيان هناك نقل واقتباس لمقاطع وجمل باكملها .

٧٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٤٦ .

٧٤ ـ المرجع نفسه ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

٧٥ ـ المرجع نفسه ، ص ٥٤ .

٧٦ ـ مجلة الديار ، تاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٤٦ .

٧٧ ـ Le soir, 29 septembre, 1947.

٧٨ ـ محمد طي ، لبنان في خريطة الامبريالية الجديدة ، ص ٧٠ ـ ٧١ (نقلا عن « دافار ») .

٧٩ ـ يمكن مراجعة محاضرة : « مقدمات حول مقولة الطائفة ـ الطبقة » (تصدر قريبا) .

٨٠ ـ هناك بعض الاحصائيات التي تشير الى ان نسبة الاموال التي تأتي الى الدخل القومي اللبناني من المهاجرين الذين يعملون في البلاد العربية النفطية تزيد على مليارين من الليرات اللبنانية .

٨١ ـ الوثائق المجمعية ، الترجمة العربية ، الجزء الاول، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

٨٢ ـ المرجع نفسه ، ص ١٤١ .
٨٤ ـ الوثائق المجمعية ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٢ .
٨٥ ـ هذه خلاصة محاضرة للاب بولس نعمان بعنوان : المارونية بين الدين والدولة ـ رأي في نزاع الشرق الاوسط ، الكسليك ، ١٩٧٠ ، ص ١٦ ـ والجدير بالذكر ان الاب نعمان ، في الفترة الراهنة ، هو من اكبر دعاة التعددية الحضارية ومشروع الكانتونات.



هوامش القسم الثالث

١ ـ في مقالة كتبها محلل العمل السياسي (جريدة العمل ، تاريخ ١٩/١٢/١٩٧٨) اشارة الى خطأ اعتماد الجبهة اللبنانية لمقولة التعددية الحضارية ، والتزام بوجود حضارة عربية متوسطية .

٢ ـ Encyclopédie Universalis, V. 6. P. 675.

٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٦٧٥ .

٤ ـ G. Wissler, Man and culture, P, 74 - 75.

٥ ـ قسطنطين زريق ، في معركة الحضارة ، ص ١٤ .

٦ ـ Encyclopédie Universalis, V. 4, P. 586.

٧ ـ لقد اعتمدنا في هذا العرض لقومات الحضارة على كتاب قسطنطين زريق : في معركة الحضارة ، ص ٨٩ ـ ٩٥ .

٨ ـ راجع مجلة الوعي ، وثائق المؤتمر العام السابع ١٩٧٧ ، ص ٥٧ .

٩ ـ شارل مالك ، في ذاته ، مطبعة بدران ، ص ٥٦ . والطريف ان الدكتور مالك هو من كبار المنظرين للتعددية الحضارية .

١٠ ــ المرجع نفسه ، ص ٥٧ .

١١ — R. Gresswell ,, Parenté et propriété foncière dans la montagne libanaise (Etudes rurales), 1970, No. 40, P. 1 - 79.

— Dominique Chevalier, la société du Mont - Liban à l'époque de la revolution industrielle en Europe, Paris, 1971, P. 67 - 68.

(عن مسودة ترجمة غير مطبوعة للاستاذ ميشال ابي فاضل) .

١٢ ــ Mgr. M. Feghali, La famille Maronite au Liban, P. 11.

١٣ ــ Thom Sicking, Religion et développement, Etude comparative d'un village maronite et d'un village musulman - Chiite au Liban, thèse pour le doctorat en sociologie, Paris V, 1977, P. 101.

١٤ ــ المرجع نفسه ، ص ٣ .

١٥ ــ المرجع نفسه ، ص ١٠٥ .

١٦ ــ Jérôme Dandini, voyage au Mont - Liban, Traduit de l'italien par le père Richard Simon, P. 124.

١٧ ــ ELIAS Kattar, recherches sur la société de la montagne libanaise à l'époque des Momelouks thèse, Paris IV, 1977, P. 190.

١٨ ــ كرسويل ، المرجع السابق .

١٩ ــ توم سيكينغ ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

٢٠ ــ المرجع نفسه ، ص ١٠٧ .

٢١ ــ المرجع نفسه ، ص ١٦٠ .

٢٢ — Camille Chamoun, crise au moyen - orient, 1936, P. 77.

٢٣ — كرسويل ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

٢٤ — اسطفان الدويهي ، تاريخ الازمنة ، نشر فردينان توتل ، ص ٢٥٠ .

٢٥ — كرسويل ، المرجع السابق ، ص ٥٠ — ج. غوليك، البنية الاجتماعية والتغيير الثقافي في بلدة لبنانية ، نيويورك ١٩٥٥ ، ص ١٣٠ .

٢٦ — كرسويل ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

٢٧ — المرجع نفسه ، ص ٥٢ .

— J. Berque et J.P. Chanay, l'onbivalence dans la culture arabe, Paris, 1967.

٢٨ — توم سيكينغ ، المرجع السابق ، ص ٧٤ .

٢٩ — المرجع نفسه ، ص ٧٩ .

٣٠ — المرجع نفسه ، ص ٨٢ .

٣١ — شارل مالك ، لبنان في ذاته ، مطبعة بدران ، ص ٢٤ .

٣٢ — « Dans ce domaine du sentiment religieux, on pourrait affirmer que les chrétiens orientaux sont plus près de leurs congénères musulmans d'orient que de leurs (coréligionnaires) d'occident ».

(Les peuples et les civilisations du proche - Orient, T. IV, P. 360).




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

في اطار سلسلة الندوات والدراسات التي ينظمها ويعدها الديمقراطيون العلمانيون هذه دراسة حول مقولة التعددية الحضارية اعدها عصام خليفة ، رئيس المجلس الوطني في حركة الوعي - جبهة الشباب اللبناني ، بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٧٨ .



السعر ٢٠٠ ق.ل.